الشفا بتعريف حقوق المصطفى

عياض اليحصبي

٢١٩ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف عياض بن
ش.ق موسى - ٥٤٤هـ . بخط عبد الرحمن بن الصايغ
سنة ٨١٢هـ .
٢٥١ ق ١٧س ٢٦×١٧سم
نسخة جيدة ، مزينة ومجدولة بماء الذهب ،
العناوين بالحمرة ، خطها نسخ حسن ، طبع
٢٧٢ الأعلام ٥ : ٢٨٢ كشف الظنون ٢ : ١٠٥٢
١- السيرة النبوية أ- القاضي عياض ، عياض بن
موسى - ٥٤٤هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ

يا مولاي يا واحد

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله وعبده وبعد فقد وقفت
هذه النسخة الشريفة الموسومة بالشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم
وجعلت مقرها بزاوية ال الوفا ال دات طيب الله [illegible] ونور ضرائحهم
والحقهم بالرفيق الاعلا وجعل زاويتهم عامرة بذكره وسره الى يوم القيامة وشرطت
ان لا يخرج من محلها الا للمجاورين بالزاوية المذكورة او لمن اراد مطالعته من غيرهم
من اهل العلم الصالحين ما دام بها فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ثم اقول وبالله اعتصم اللهم احلل لعنتك وغضبك وسوء عقابك
على من غيره او بدله او سعى في مخالفة شرطه في ذلك وغيره مما وقفته
انه [illegible] الانتقام وحسبنا الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم كتبه العبد
الفقير [illegible] ال الوفا محمد [illegible] تحريرا في غاية جمادى الاولى
[illegible] الف و[illegible] من الهجرة النبوية على صاحبها افضل السلام



٧٤٤ فرز بمعرفتي
[illegible]





كتاب الشفا

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل
قرات على الشيخ الامام الحافظ شهاب الدين ابي بكر احمد بن احمد
الهكاري قال قرات على الشيخين العالمين ابي يوسف يعقوب بن احمد
الحلبي المعروف بابن الصابوني وابي [illegible] عبد الحق بن قيبان بن عبد
المجيد القرشي في شعبان عام ثمنية وسبع مائة بالقاهرة قالا
اخبرنا المشايخ ابو الحسن محمد بن ابي علي الحسين بن عتيق بن رشيق الربعي
المالكي قراة عليه ونحن نسمع بمصر في شوال سنه ثمان وستين وستمية

صلى الله عليه وعلى





بتعريف حقوق المصطفى

والحافظ ابو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي وتاج الدين علي بن احمد
القسطلاني اجازة وقال ابو محمد بن قيبان واخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين
ابن الحليلي بقراتي عليه وقال ابن الصابوني اجازة قالوا اخبرنا ابو الحسين
محمد بن ابي جعفر احمد بن جبير الكناني قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن
محمد بن عيسى التميمي اجازة قال اخبرنا القاضي الامام العالم ابو الفضل
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي وقال ابن القسطلاني واخبرنا
ابو جعفر احمد بن عبد الرحمن بن مضا اجازة قال اخبرنا ابو الفضل

آله وصحبه وسلم

عياض رحمه الله اجازة ∴ قال

الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى ۝ المختص بالملك الاعز الاحمى • الذي ليس دونه
منتهى ولا وراءه مرمى ۝ الظاهر لا تخيلا ووهما • والباطن تقدسا لا عدما ۝ وسع
كل شيء رحمة وعلما • واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من
انفسهم انفسهم عربا وعجما ۝ وازكاهم محتدا ومنمى • وارجحهم عقلا وحلما ۝
واوفرهم علما وفهما • واقواهم يقينا وعزما ۝ واشدهم بهم رافة ورحمى •
وزكاه روحا وجسما ۝ وحاشاه عيبا ووصما • واتاه حكمة وحكما ۝ وفتح به
اعينا عميا • وقلوبا غلفا واذانا صما ۝ فامن به وعزره ونصره من جعل الله له
في مغنم السعادة قسما • وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقاء حتما
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ۝ صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى •
وعلى اله وسلم تسليما **اما بعد** اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ∴
ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين ۝ الذين شرفهم بنزل قدسه •
واوحشهم من الخليقة بانسه • وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته ۝
واثار قدرته بما ملا قلوبهم حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم
به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون ۝
وبين اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون • وبالانقطاع اليه والتوكل
عليه يتعززون ۝ لهجين بصدق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون •

فانك كررت علي السوال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى الله عليه
وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك
القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وايمتنا
في ذلك من مقال ۝ وابينه بتنزيل صور وامثال **فاعلم** اكرمك الله
انك حملتني من ذلك امرا امرا • وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا • وارقيتني بما
كلفتني مرتقا صعبا ۝ ملا قلبي رعبا • فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير
اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب
للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول
والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية ۝ وها هنا
مهامه فيح تحار فيها القطا ۝ ويقصر بها الخطا • ومجاهل تضل فيها الاحلام
ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على
توفيق من الله وتاييد • لكني لما رجوته لي ولك في هذا السوال والجواب من
نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم
تجتمع قبل في مخلوق ۝ وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا • ولما اخذ الله على
الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ۝ ولما حدثنا به ابو الوليد
هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه نا الحسين بن محمد نا ابو عمر النمري

ثنا ابو محمد بن عبد المومن ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن الاشعث ثنا موسى بن
اسمعيل ثنا حماد ثنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت الى نكت
مسفرة عن وجه الغرض مؤدياً من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال
لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها
فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل
ولو اراد الله بالانسان خيراً لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غداً او يذم محله
فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته
وانقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله
صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر
دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت
تقريبه ودرجت تبويبه وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت
الكلام فيه على اربعة اقسام

القسم الاول

في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي قولاً وفعلاً
وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب

وقف على زاوية السادات

وفيه خمسة فصول

الباب الثانى ١٣٢

فى لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول

الباب الثالث ١٣٨

فى تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول

الباب الرابع ١٤٧

فى حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

وفيه عشرة فصول

القسم الثالث ١٦١

فيما يستحيل فى حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصى لموعدته والتفصى من عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبى حق قدره وتحرر الكلام فيه فى بابين

الباب الاول ١٦١

يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول فى العصمة

وفيه ستة عشر فصلا

الباب الثانى ١٩٨

فى احواله الدنيوية وما يجوز طروءه عليه من الاعراض البشرية

وفيه تسعة فصول

القسم الرابع ٢١١

فى تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه السلام

وينقسم الكلام فيه فى بابين

الباب الاول ٢١٢

فى بيان ما هو فى حقه سب ونقص من تعريض او نص

وفيه عشرة فصول

الباب الثانى ٢٣٨

فى حكم شانئه ومؤذيه ومنتقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول

وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله فى حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبى صلى الله عليه وسلم واختصر الكلام فيه فى خمسة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب

وتتم الاقسام والابواب • ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة • وفي تاج التراجم
خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين • ويشفي صدور قوم مؤمنين • ويصدع
بالحق ويعرض عن الجاهلين • وبالله تعالى لا اله سواه استعين •

القسم الاول

في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا •

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او
خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه
بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل
عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل
نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه
فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب
عليه الجزاء الاوفى • فله الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما
ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة
والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات
الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره وراها
من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا • وفاضت
انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن

محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه ثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل
احمد بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن احمد بن محبوب
ثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ ثنا اسحق بن منصور ثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن
قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما
مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك
احد اكرم على الله منه • قال فارفض عرقا

الباب الاول

في ثناء الله تعالى عليه واظهار عظيم قدره لديه •

اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد
محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره • اعتمدنا منها على ما ظهر معناه
وبان فحواه • وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم
رسول من انفسكم الاية • قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء
وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم الله المؤمنين او
العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا
الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون

وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى

صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن
في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وكونه
من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد
باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم
وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورحمته بمؤمنيهم قال
بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى
هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال
نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح وقال جعفر
بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو
من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرافة
والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته
فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة فكان كونه رحمة
وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في
الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول



وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه قال قتادة رفع الله ذكره
في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى ابو سعيد ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف
رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال
ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من
ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد
بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن
ذكره تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول
وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا
الكلام في غير حقه عليه السلم حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد
الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه نا ابو عمر النمري نا ابو محمد
بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود السجزي نا ابو الوليد الطيالسي
نا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان
قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة
الله تعالى واخبارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك

ومثله الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع
بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية • وذهب غيره الى انه انما كره
له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال
ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما • وقد اختلف المفسرون
واصحاب المعاني في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة على
الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا
الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون • وقد روي عن
عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من
يطع الرسول فقد اطاع الله • وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الآيتين • روي انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه
حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول •
فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم • فقال ابو العالية والحسن
البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه
حكى عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه • وقال



رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو
الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم
قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في
تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد
عليه السلام • وقيل الاسلام • وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد عليه السلام • وقال تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين على
ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم • قال بعضهم وهو الذي صدق به
وقرئ صدق بالتخفيف • وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون • وقيل ابو بكر
وقيل علي • وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى
الا بذكر الله تطمئن القلوب • قيل بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثاني

في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة

قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية •
جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف
من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه

ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته
وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله ثنا ابو
القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله محمد
ابن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطا بن يسار قال
لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه
قال اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القران يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا
لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا • وذكر مثله
عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب
في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له
كل خلق كريم • اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة
معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته
والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد
الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة
واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف

به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة
اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صفته في التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال
طيبة امته الحمادون لله على كل حال • وقال تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الايتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال
السمرقندي ذكره الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمومنين رؤفا لين
الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا
طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن
القابسي ابان الله فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي
قوله في الاية الاخرى • وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء
على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله
وسطا اي عدلا خيارا • ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم
وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبيا على اممهم وليشهد
لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبيا هل بلغتم
فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد
للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل معنى الاية انكم حجة على

كل من خالفكم والرسول حجة عليكم ۝ حكاه السمرقندي ۝ وقال تعالى
وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن
أسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا هي
مصيبتهم بنبيهم وعن أبي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه
وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وعن سهل بن عبد الله التستري هي سابقة
رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو إمام
الصادقين والصديقين والشفيع المطاع والسائل المجاب
محمد صلى الله عليه وسلم ۝ حكاه عنه السلمي ۝

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه إياه مورد الملاطفة والمبرة ۝

من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم ۝ قال أبو محمد مكي قيل
هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأكرمك وأعزك الله وقال عون بن
عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم أن معناه
عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى
برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق
في عذره من الكاذب ۝ وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب

ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال
نفطويه ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه
من ذلك بل كان مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم قال القاضي أبو الفضل يجب على
المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بأدب القرآن
في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة
الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من
رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد
وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب
وقال تعالى ۝ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ۝ قال
بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الأنبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه وعليهم السلام
قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية
العناية ۝ ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف
أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى
قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك الآية قال علي
رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب
بما جئت به ۝ فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروي أن النبي

صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال
كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله الآية ففي هذه الآية
منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلم والطافه في القول بان قرر
عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا
وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب
ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة
الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشي ثم انكره كقوله وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عن من قبله
ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرا يكذبونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفرا والكسائي لا يقولون انك
كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد فمعناه
لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من
خصائصه وبر الله تعالى له ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا باسمائهم فقال
يا آدم يا نوح يا ابرهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا
يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم
من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها
فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحيا
وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله
وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد
غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه
اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف
المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لي عند ربي عشرة اسما ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى
ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا وقال هو قسم
وهو من اسما الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل
وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم
اقسم الله به قبل ان يخلق السما والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين
ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه
وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف

لعمرك صح

تك

القسم الاخر عليه وان كان بمعنى الندا فقد جا قسم اخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى
عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اى لا اعوجاج فى طريقه ولا عدول فيه عن
الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة فى كتابه الا له
وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه • وقد قال عليه السلم
انا سيد ولد ادم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكى • وقيل لا زايدة
اى اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد
بالبلد هنا عند هولا مكة وقال الواسطى اى نحلف لك بهذا البلد
الذى شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعنى المدينة والاول اصح لان
السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطا فى تفسير
قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه
امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو
ابرهيم وما ولد فهى ان شا الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة
القسم به فى موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه
الحروف اقسام اقسم الله بها • وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله
التسترى الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلم وحكى هذا

القول السمرقندى ولم ينسبه لسهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا
القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه
ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطا فى قوله تعالى
ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب
والمشاهدة ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله • وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله
وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد فى تفسير
والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال والنجم قلب محمد هوى انشرح من
الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطا فى قوله تعالى والفجر
وليال عشر الفجر محمد لان منه تفجر الايمان •

الفصل الخامس

فى قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده

قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة • اختلف فى سبب نزول
هذه السورة فقيل كان ترك النبى صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل
به فتكلمت امراة فى ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحى فنزلت
السورة قال القاضى الامام ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة
الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما
اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى وهذا من اعظم

وقف … زاوية السادات

وقف الاستاذ ابي الانوار محمد السادات بلغه الله المرادات

درجات المبرة **الثاني** بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك
وما قلى اى ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك **الثالث**
قوله وللآخرة خير لك من الاولى **قال** ابن اسحق اى ما لك فى مرجعك عند الله اعظم
مما اعطاك من كرامة الدنيا **وقال** سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما اعطيتك فى الدنيا **الرابع** قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى
وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام فى الدارين
والزيادة **قال** ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا والثواب فى الاخرة وقيل
يعطيه الحوض والشفاعة **وروى** عن بعض آل النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
ليس فى القرآن اية ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل
احد من امته النار **الخامس** ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من الائه قبله
فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى ويتيما
فحدب عليه عمه واواه اليه وقيل اواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك
فاواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك
يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه
وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه
السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره

بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام
لامته **وقال** تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى
اختلف المفسرون فى قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها
القرآن **وعن** جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال هو قلب محمد وقد قيل
فى قوله والسما والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا
محمد صلى الله عليه وسلم **حكاه** السلمى تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه
العد ما تقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن
الهوى وصدقه فيما تلا وانه وحى يوحى اوصله عن الله جبريل وهو شديد
القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه الكبرى وقد نبه على مثل
هذا تعالى فى اول سورة الاسرا ولما كان ما كاشفه عليه السلم من
ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل
بحمل سماع ادناه العقول رمز تعالى بالايما والكناية الدالة على التعظيم فقال
فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة
بالوحى والاشارة وهو ابلغ ابواب الايجاز وقال لقد راى من ايات ربه
الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك
الايات الكبرى **قال** القاضى ابو الفضل واشتملت هذه الايات على

إعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلم وعصمتها من الآفات في هذا المسرى
فزكى لسانه وفؤاده وجوارحه وقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه
بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى
فلا أقسم بالخنس الجوار إلى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا أقسم أي أقسم
إنه لقول رسول كريم أي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي
مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم أي في السما أمين على الوحي
قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الأوصاف إليه ولقد رآه يعني محمدًا
قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم
ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد
عليه السلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون الآيات أقسم تعالى
بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له
وآنسه وبسط أمله بقوله محسنًا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية
المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه بما له عنده من نعيم
دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وإن لك لأجرًا
غير ممنون ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك
تتميمًا للتمجيد بحرفي التأكيد فقال وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن

وقيل الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس له همة إلا الله قال
الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره
لأنه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي
يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع
إفضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم
بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه
وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليًا ذلك بفضله ومنتصرًا لنبيه فذكر بضع
عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين إلى قوله أساطير
الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى
على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى في حقه عليه السلم مورد الشفقة والإكرام

قال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه
السلم وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل
هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو
أمر من الوطء والها كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب

نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى •
نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام
الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي
ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال نا ابو ذر الحافظ نا ابو محمد الحموي نا
ابراهيم بن خزيم الشاشي نا عبد بن حميد نا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن
انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى •
فانزل الله تعالى طه يعني طإ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء
في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام
كما قيل او جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والرحمة
والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا
لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ۝ ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من
السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين • ومن هذا الباب قوله تعالى ۝
فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى آخر السورة • وقوله ولقد استهزئ
برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى
من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ۝ ومثل هذه
التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك • ومن هذا

قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون •
عزاه الله بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم
وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك • ثم
طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى ۝ فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم
اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت • ومثله قوله تعالى واصبر على ما يقولون
فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في
آي كثيرة من هذا المعنى •

الفصل السابع ۝

فيما اخبر الله في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء
وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا
بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون اخذ الله
الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان
ادركه ليؤمنن به ۝ وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن
بعدهم • وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا (رسولا) من آدم فمن بعده الا اخذ
عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه
ويأخذ العهد بذلك على قومه ۝ ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله

من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا روى عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال
بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبيا وذكرك في
اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك
وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال
قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبيا في الخلق وآخرهم في البعث
فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا
تفضيل نبينا عليه السلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم
الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله
عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنايم وظهرت على يديه
المعجزات وليس احد من الانبيا اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله
عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضيله ان الله خاطب الانبيا باسمايهم
وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال تعالى يا ايها النبي ويا ايها الرسول
وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم ان الها

عايدة على محمد اي ان من شيعة محمد لابرهيم اي على دينه ومنهاجه
واجازه الفرا وحكاه عن مكي وقيل المراد نوح عليه السلم

الفصل الثامن

في اعلام الله خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه
قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة
فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المومنين نزل وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله
ولولا رجال مومنون الاية فلما هاجر المومنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله
وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرايه العذاب عن اهل
مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم
بتسليط المومنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم
وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
رحمه الله بقراتي عليه نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا نا ابو يعلى
ابن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا
سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي
بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي
امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون

فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ٥ ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي ٥ قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش
وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن •
وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية • ابان الله تعالى فضل نبيه
بصلوته عليه ثم بصلوة ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه والصلوة من الملائكة
ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون • وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلوة والبركة ٥ وسنذكر حكم الصلوة عليه وذكر
بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اى كفاية الله تعالى لنبيه
قال اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته ٥ قال ويهديك صراطا مستقيما •
والياء تاييده • قال ايدك بنصره ٥ والعين عصمته • قال والله يعصمك
من الناس ٥ والصاد صلوته عليه • قال ان الله وملائكته يصلون على النبي
وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية اى وليه وصالح
المؤمنين قيل الانبياء • وقيل الملائكة ٥ وقيل ابو بكر وعمر • وقيل
علي رضي الله عنه ٥ وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته ٥

وحكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء اول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا اى في صلاة الله على وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيامة ع

وقال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم وقد
تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى
ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له
من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له
غير مواخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع
اى انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده
لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ٥ ثم قال ويتم نعمته عليك • قيل
بخضوع من تكبر لك • وقيل بفتح مكة والطائف • وقيل يرفع ذكرك في الدنيا
وينصرك ويغفر لك • فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم
البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة
ونصره النصر العزيز ومنته على امته المومنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في
قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك
عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ٥ ثم قال
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته على
امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم ٥ وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته
بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب • وقيل محذرا من الضلالات ٥
ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى ٥ ويعزروه اى يجلونه • وقيل

ينصرونه وقيل بالعون في تعظيمه ۝ ويوقروه اي يعظمونه • وقراه بعضهم يعززوه
بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ۝ ثم قال وتسبحوه
فهذا راجع الى الله تعالى **قال** ابن عطا جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة
نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة ۝ وتمام
النعمة وهي من اعلام الاختصاص ۝ والهداية وهي من اعلام الولاية • فالمغفرة تبرئة
من العيوب • وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة ۝ والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة
وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به
شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى • وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى
وبعثه الى الاسود والاحمر • واحل له ولامته الغنايم ۝ وجعله شفيعا مشفعا •
وسيد ولد ادم • وقرن ذكره بذكره ۝ ورضاه برضاه • وجعله احد ركني
التوحيد • ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان
اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك ۝ يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة ۝ قيل
قوة الله ۝ وقيل ثوابه • وقيل منته ۝ وقيل عقده • وهذه استعارة وتجنيس
الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه ۝ وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم
وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى • وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل
والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيته ۝ ولانه

ووقف لله تعالى بزاوية السادات الروفا

وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله اعلم ۝ وقد سماه الله تعالى في القران
في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين ۝ وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا • ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى
اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب ۝ قال ابن عباس
شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة • وقال الحسن ملاه حكما وعلما
وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك ۝ قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة • وقيل اراد
ثقل ايام الجاهلية • وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها **حكاه**
الماوردي والسلمي ۝ وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك **حكاه**
السمرقندي • ورفعنا لك ذكرك • قال يحيى بن ادم بالنبوة • وقيل اذا ذكرت
ذكرت معي في قول لا اله الا الله محمد رسول الله ۝ وقيل في الاذان **قال**
القاضي هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه
لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية
ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه
لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة
اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال
عليه السلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم • وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة
قبض نبيها قبلها فجعله لها سلفا وفرطا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني
للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من
القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين
والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلم هل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة
فامنت لثنا الله عز وجل بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي
عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما
وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم • وقال الله تعالى الله
نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد
عليه السلم وقوله مثل نوره اي نور محمد • وقال سهل بن عبد الله
المعنى الله هادي اهل السموات ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا في
الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره
اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من
نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة • وقوله يكاد زيتها يضيء اي يكاد
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت •

تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جا به وما قاله ومطابقة
تصديق القلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان ثم الايمان به والتصديق له كما ورد
في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال
اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم ساله عن الايمان قال ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان
والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة • واما الحال
المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم عن اعتقادهم وتصديقهم وهم
لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمايرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين
في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام
الدنيا المتعلقة بالايمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من
علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق

من الشهادة باللسان
ان محمدا رسول الله اذا اجتمع
التصديق به بالقلب

بن



بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض له دونه فحل ما رأيت
مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لأخذه
وذكر السمرقندي أن رجلاً من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله
فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع إلى أصحابه فلم يرهم
حتى نادوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً
الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن إسحق في قصته إذ خرج إلى بني قريظة في أصحابه
فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي
صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل إن قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم في هذه
القصة نزلت وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين
اللذين قتل عمرو بن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر فتوامر حيي معهم على قتله
فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر
أهل التفسير ومعنى الحديث عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشاً لئن رأى محمداً يصلي ليطأن
رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هارباً ناكصاً

ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ
عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية أنها على المجاز
العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت
وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي أن منفعة الرمي كانت
من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم

الفصل العاشر

فيما أظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده

وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعالى
من قصة الإسرا في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم
منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من
الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا
الآية وقوله إلا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به في هذه القصة
من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا في أمره والأخذ على أبصارهم
عند خروجه إليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الآيات
ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره أهل
الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة وقوله تعالى إنا أعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر أعلمه الله بما أعطاه والكوثر

ومما الاستاذ ابي الانوار محمد ال داس يلعنه الله المراد ار

حوضه ۝ وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكبير ۝ وقيل الشفاعة ۝ وقيل
المعجزات الكثيره وقيل النبوة ۝ وقيل المعرفة ۝ ثم اجاب عنه عدوه ورد
عليه قوله فقال ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك ۝ والابتر الحقير
الذليل او المفرد الوحيد ۝ او الذي لا خير فيه ۝ وقال ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم ۝ قيل السبع المثاني السور الطوال الاول
والقران العظيم سايره ۝ وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى
وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبا القران العظيم ۝ وقيل سميت
ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة ۝ وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله
عليه وسلم وذخرها له دون الانبيا ۝ وسمي القران مثاني لان القصص تثنى فيه
وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات ۝ وقال وانزلنا اليك
الذكر الاية ۝ وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية ۝ قال فهذه من
خصايصه ۝ وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال
عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود ۝ وقال تعالى النبي اولى بالمومنين
من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على
عبده ۝ وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس ۝ وازواجه امهاتهم

اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية
ولانهن له ازواج في الاخرة ۝ وقد قري وهو اب لهم ولا يقرا به الان
لمخالفته المصحف ۝ وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية ۝
قيل فضله العظيم بالنبوة ۝ وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي
الى انها اشارة الى احتمال الروية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضايل الدينية والدنيوية فيه نسقا

اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم ۝ الباحث عن تفاصيل جمل قدره
العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ۝ ضروري دنيوي
اقتضته الجبلة ۝ وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله
ويقرب الى الله زلفى ۝ ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ۝ ومنها
ما يتمازج ويتداخل ۝ فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب
مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة
فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضايه واعتدال حركاته وشرف
نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غدايه
ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه ۝ وقد تلحق هذه

ب

ضرورة

الخصال الأخر بالأخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها
وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة ۞ واما المكتسبة الاخروية
فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروة
والتودة والوقار والرحمة وحسن الاداب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها
حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس
وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة
شعبة كما سنبينه ان شا الله وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله
والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضايل باتفاق اصحاب العقول السليمة
وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

فصل

اذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها
او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او
شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف
بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم
قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال •
ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة
والخلة والمحبة والاصطفا والاسرا والروية والقرب والدنو والوحي والشفاعة
والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر
والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبيا والامم وسيادة ولد ادم
ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة
والهداية ورحمة العالمين واعطاء الرضا والسول والكوثر وسماع القول
واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع
الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملايكة وايتا الكتاب
والحكمة والسبع المثاني والقران العظيم وتزكية الامة والدعا الى الله وصلاة
الله والملايكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم
باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات واحيا الموتى واسماع الصم — والعجم صح
ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب
الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى وابراء
الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك
ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات
القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول •
ويحار دون ادانيها الوهم • — في ادراكها

فصل

ان قلت اكرمك الله لا خفا على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا ۞
واعظمهم محلا • واكملهم محاسن وفضلا • وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال

مذهبا جميلا تشوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفضيلا •
فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي حبي وحبك انك
اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا
لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها
مبلغ القطع • اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت
الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك • وابي هريرة
والبراء بن عازب • وعائشة ام المؤمنين • وابن ابي هالة وابي جحيفة • وجابر بن سمرة •
وام معبد • وابن عباس • ومعرض بن معيقيب • وابي الطفيل • والعداء بن خالد •
وخريم بن فاتك • وحكيم بن حزام • وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر •
اللون • ادعج • انجل • اشكل • اهدب الاشفار • ابلج • ازج • اقنى • افلج •
مدور الوجه • واسع الجبين • كث اللحية تملأ صدره • سواء البطن والصدر •
واسع الصدر • عظيم المنكبين • ضخم العظام • عبل العضدين والذراعين •
والاسافل • رحب الكفين والقدمين • سائل الاطراف • انور المتجرد • دقيق
المسربة • ربعة القد • ليس بالطويل البائن • ولا بالقصير المتردد • ومع ذلك
فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم • رجل الشعر
اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام • اذا تكلم رئي
النور يخرج من ثناياه • احسن الناس عنقا • ليس بمطهم • ولا مكلثم •

متماسك البدن ضرب اللحم **قال** البراء ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** ابو هريرة ما رايت شيئا
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك
يتلألأ في الجدر **قال** جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه مثل السيف
فقال لا بل مثل الشمس والقمر • وكان مستديرا **وقالت** ام معبد في
بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب
وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر **وقال** علي
رضي الله عنه في آخر وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه •
يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم • والاحاديث
في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها • وقد اختصرنا في وصفه نكت
ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب • وختمنا هذه الفصول
بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله **فصل**
واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد
فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع
وخصال الفطرة العشر • وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على النظافة
حدثنا سفيان بن العاص وغير واحد قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي
ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت

عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار • قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها • ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها • ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو اطيب الطيب • وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم • وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي • وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر ابن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب • ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله

عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم اياه ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه • وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده • وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح • واسم هذه المرأة بركة واختلف في نسبها • وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال ليلة فيه ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه •

وفي حديث عكرمة عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام
فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا قال

فصل

واما وفور عقله وذكاء لبه وفصاحة لسانه واعتدال
حركاته وقوة حواسه وحسن شمائله • فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن
تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة مع عجيب
شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا
ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه
لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه
قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا • وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها من العقل
ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها في جنب عقله صلى الله
عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه
فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين • وفي الموطا عنه عليه السلم اني لاراكم
من وراء ظهري • ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عائشة مثله قالت زيادة
زاده الله اياها في حجته • وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر من بين
يدي • وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد

عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء •
والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع
النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده
وقد حكي عنه انه عليه السلم انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما • وهذه
كلها محمولة على رؤية العين • وهو قول احمد بن حنبل وغيره • وذهب بعضهم الى
ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبيا
وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه نا ابو الحسن المقري
الفرغاني حدثنا ام القسم بنت ابي بكر عن ابيها نا الشريف ابو الحسن علي
ابن محمد الحسني نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن سليمان نا محمد بن محمد بن
مرزوق نا همام بن الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلم كان يبصر النملة
على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان تختص
نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه
الكبرى • وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان
دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده
ثلث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال • ابو هريرة
ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما

الأرض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث ۝ وفي صفته ان ضحكه كان
تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب •

فصل

واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز
مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف ۝ اوتي جوامع الكلم
وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها
بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسئلونه في غير موطن
عن شرح كلامه وتفسير قوله • من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه
وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي
المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل
ابن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن ۝ وانظر الى كتابه الى
همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاها
لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب
والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ
والقارح • وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث
راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلوة كان
مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا

لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد
في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ○ ولكم الفارض
والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا
يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفا بالعهد والذمة
ع ومن ابى فعليه الربوة • ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب ○ وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة
وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه ماية واستوفضوه عاما ومن زنى
مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل
مسكر حرام • ووايل بن حجر يترفل على الاقيال ○ اين هذا من كتابه لانس في
الصدقة المشهور لما كان هاولا على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث
الناس بما يعلمون • وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي
المنطية واليد السفلى هي المنطاة ○ قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلغتنا • وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم سل عنك اي سل عما شيت وهي لغة بني عامر ○ واما كلامه المعتاد
وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين
وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب • ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى



بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من
سواهم • وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب • ولا خير في
صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن • وما هلك امرؤ عرف قدره
والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم • ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم
أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم • وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن
أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا
الذين يألفون ويؤلفون • وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا
يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها • ونهيه عن قيل
وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات
ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن • وخير الأمور أوساطها وقوله أحبب حبيبك
هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما • وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة
وقوله في بعض دعائه اللهم إني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري
وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي
وتلهمني بها رشدي • وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم
إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء
إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته

ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز
فيها سبقا لا يقدر قدره • وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها ولا
قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف أنفه ولا
يلدغ المؤمن من جحر مرتين • والسعيد من وعظ بغيره في أخواتها ما يدرك
الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في أداني حكمها وقد قال له
أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وإنما أنزل القرآن
بلساني لسان عربي مبين • وقال مرة أخرى بيد أني من قريش
ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة
ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا
يحيط بعلمه بشري • وقالت أم معبد في وصفها له حلو المنطق
فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن • وكان جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

فصل

وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه
ولا بيان مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها
وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه • ومن أهل مكة من أكرم
بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي
ثنا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف ثنا أبو ذر عبد بن أحمد ثنا أبو محمد السرخسي

وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة
ابن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا
فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل
فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا
وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني
كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من
بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث ابن عمر رواه
رواه الطبري انه عليه السلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم
بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار بني هاشم
ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا في خيار الا من احب العرب فبحبي
احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت
نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملئكة
بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي

في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة
حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر
العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور

فصل

واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل في
قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما
ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم
ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب
دليل على الحرص والنهم والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة
جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة
وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما
ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة
مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب
وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل
متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها دها
وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا
واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين
الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما

بارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو على الصدفى الحافظ بقراتى عليه نا ابو الفضل
الاصبهانى نا ابو نعيم الحافظ نا سليمان بن احمد نا بكر بن سهل نا عبد الله بن
صالح حدثنى معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدى كرب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه
حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث
لشرابه وثلث لنفسه • ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب
قال سفين الثورى بقلة الطعام يملك سهر الليل ۞ وقال بعض
السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتناموا كثيرا • وقد روى عنه
صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اى كثرة الايدى
وعن عائشة رضى الله عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا
قط وانه كان فى اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما
اطعموه قبل وما سقوه شرب ۞ ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم
ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه
لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه
به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا
هدية • وفى حكمة لقمان يا بنى اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ۞ سحنون لا يصلح العلم لمن اكل



حتى تشبع • وفى صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل
متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد فى الجلوس له كالمتربع وتشبهه من
تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة
يستدعى الاكل ويستكثر منه والنبى عليه السلام انما كان جلوسه للاكل
جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس
كما يجلس العبد وليس معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند المحدثين ۞ صوابه المحققين
وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار
الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وكان نومه على
جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على جانب الايسر اهنا لهدو القلب
وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعى
ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب
وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل
والضرب الثانى ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه
اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم
يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به شيرة ماضية •
واما فى الشرع فسنة ماثورة ۞ وقد قال ابن عباس افضل هذه
الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم • وقد قال عليه السلم

تناكحوا فانى مباهٍ بكم الامم ۝ ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة
وغض البصر الذى نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم تره العلما مما يقدح فى
الزهد **قال** سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف
يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة • وقد كان زهاد الصحابة كثيرى الزوجات
والسرارى كثيرى النكاح **وحكى** فى ذلك عن على والحسن وابن عمر وغيرهم
غير شى وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا **فان قلت** كيف يكون
النكاح وكثرته من الفضايل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان
حصورا فكيف يثنى الله عليه بالعجز عما يعد فضيلة ۝ وهذا عيسى عليه السلم
تبتل من النسا ولو كان كما قررته نكح **فاعلم** ان ثنا الله على يحيى بانه
حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق
المفسرين ونقاد العلما وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق هذا بالانبياء
وانما معناه انه كان معصوما من الذنوب اى لا يأتيها كانه حصر عنها ۝
وقيل مانعا نفسه من الشهوات ۝ وقيل ليست له شهوة فى النسا • فقد
بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل فى كونها موجودة
ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلم ۝ او بكفاية من الله كيحيى عليه السلم
فضيلة زايدة لكونها شاغلة فى كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هى فى

حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة
عليا وهى درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة
ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واهدايه لهن وهدايته
اياهن ۝ بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ
دنيا غيره فقال حبب الى من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر من النساء
والطيب اللذين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لآخرته
للفوايد التى ذكرناها فى التزوج وللقاء الملايكة فى الطيب ولانه ايضا مما يحض
على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه • وكان حبه لها تين الخصلتين لاجل غيره
وقمع شهوته ۝ وكان حبه الحقيقى المحض بذاته فى مشاهدة جبروت
مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت
قرة عينى فى الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى فى كفاية فتنتهن وزاد فضيلة
بالقيام بهن ۝ وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة فى هذا واعطى
الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره **وقد** روينا عن
انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسايه فى الساعة فى الليل
والنهار وهن احدى عشرة **قال** انس وكنا نتحدث انه اعطى قوة
ثلاثين ۝ خرجه النساى **وروى** نحوه عن ابى رافع **وقد**
قال سليمان عليه السلم لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين

وعن طاوس اعطى عليه السلام قوة اربعين رجلا فى الجماع ومثله عن صفوان بن سليم ع

وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماية رجل
وكانت له ثلثماية امراة وثلثماية سرية وحكى النقاش سبع ماية
امراة وثلثماية سرية وقد كان لداود عليه السلم على زهده واكله من عمل
يده تسع وتسعون امراة وتمت بتزوج اوريا ماية وقد نبه على ذلك في الكتاب
العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة • وفي حديث انس عنه
عليه السلم فضلت على الناس باربع السخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب • وقد
قال تعالى في صفة عيسى عليه السلم وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة
فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في
الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق
من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عندها وبعدها وهم يكذبونه
ويوذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره
وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق
لرويته من لم يره كما روى عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة
عليك السكينة • وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد
فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشرف
منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ

النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا
القسم باسره

فصل

واما الضرب الثالث

فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضل لاجله
ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى
حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه
مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله
والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير
موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم
يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا
التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى
غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه في مواضعه ولا وجهه وجوهه
غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا متمدح عند احد من العقلاء بل هو فقير
ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط
عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شي والمنفق
ملي غني بتحصيله فوايد المال وان لم يبق في يده من المال شي • فانظر

سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح
البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم
بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانا ذلك من الشام والعراق
وجبيت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته
جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه
مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين ۝ وقال ما يسرني ان تكون لي
احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لدين • ومات ودرعه
مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته ما يجده فيلبس صح
اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس في الغالب الشملة والكسا الخشن والبرد
الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر
اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من
سمات النسا والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله
غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين • وقد ذم الشرع
ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود
ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته
وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا
وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة

زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانها **فصل** واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع الفضلا على تفضيل صاحبها
وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها
وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من
اجزا النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصا فها
والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا
صلى الله عليه وسلم على الانتها في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله
عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان
خلقه القران يرضى لرضاه ويغضب لسخطه • وقال عليه السلم بعثت ويسخط
لاتمم مكارم الاخلاق وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب مثله • وكان فيما ذكره المحققون
مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة
الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر الانبيا ومن طالع سيرهم
منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى
وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة
واودعوا العلم والحكمة في الفطرة ۝ قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا

قال المفسرون اعطي العلم بكتاب الله في حال صباه • وقال معمر كان
ابن سنتين او ثلث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت • وقيل
في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلث سنين فشهد له انه كلمة الله
وروحه • وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في
بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها
اياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى
ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا • وقال
ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما • وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي
يلعب في قصة المرجومة • وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه • وحكى الطبري
ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون
واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله ولقد آتينا
ابرهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وقال ابن عطاء ونعيم
اصطفاه قبل ابداء خلقه • وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا
يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل
فذلك رشده • وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلم في النار ومحنته كانت
وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين •
وان استدلال ابرهيم بالكواكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا

وقيل اوحى الله الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله
الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم • وقد
حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السما • وقال في حديثه
صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء
مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن
الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى
يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال
الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة • قال الله تعالى ولما بلغ
اشده واستوى اتيناه حكما وعلما • وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق ف
دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى •
كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان
او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة
والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين
يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها
هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن
جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو

والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وعن عمر بن الخطاب
في حديثه والجراءة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة
والخصال الشريفة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى **فصل** اما اصل فروعها
وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع منه
عن هذا ثقوب الراي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر
للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير
واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه عليه السلام
وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله
من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره
وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه
بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية
وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب
النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة
واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك
مما سنبينه ان شاء الله دون تعلم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا في معجزاته

الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان
امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان
القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها
ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله
عليه وسلم الى ساير ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان
وعجائب قدرته وعظيم ملكوته • قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما ۝ حارت العقول في تقدير فضله عليه
وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه **فصل**
واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه
الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات
والاحتمال حبس النفس عند الالام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها
متقاربة • واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله
به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية **روي** ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سال جبريل عن تاويلها
فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله
يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ۝
وقال له واصبر على ما اصابك الاية ۝ وقال فاصبر كما صبر

وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت
حاشيته في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله
الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي
قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم
ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر ۝ قالت عايشة ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم يكن حرمة من
محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله • وما ضرب
خادما ولا امراة وجي اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي ۝ وجاءه زيد بن
سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبيه واخذ بمجامع
ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في
القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا وهو كنا الى غير هذا احوج منك يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي
ثم قال لقد بقي من اجله ثلث وامر عمر يقضيه ويزيده عشرين صاعا لما
روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شي
الا وقد عرفتها في محمد الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة

الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف • والحديث عن حلمه عليه السلم
وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه ۝ وحسبك ما ذكرناه مما في
الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة
قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدايد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما
زاد على ان عفى وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم الآية اذهبوا
فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح
ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم
فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية ۝ وقال لابي سفين وقد سيق
اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه
ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفين الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله
فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك • وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم

فصل

واما الجود والكرم والسخا والسماحة ومعانيها متقاربة
وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما
يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة ۝ والسماحة

التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة ۞ والسخاء
سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير • فكان
صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه
كل من عرفه **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي الصدفي نا القاضي ابو الوليد الباجي
نا ابو ذر الهروي نا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي
قالوا نا ابو عبد الله الفربري نا البخاري نا محمد بن كثير انا سفين عن ابن المنكدر
سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا •
وعن انس وسهل بن سعد مثله ۞ وقال ابن عباس كان النبي صلى الله
عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان • وكان اذا
لقيه جبريل عليه السلم اجود بالخير من الريح المرسلة **وعن** انس ان رجلا
ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا
يعطي عطاء من لا يخشى فاقة ۞ واعطى غير واحد مائة من الابل • واعطى صفوان
مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
وقد قال له ورقة انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ۞ ورد على هوازن
سباياها وكانوا ستة الاف • واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله
وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما
رد سائلا حتى فرغ منها ۞ وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن

ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه
فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا
تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا امرت ذكره الترمذي **وذكر** عن معوذ بن عفراء اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني
ملء كفه حليا وذهبا **قال** انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر
شيئا لغد ۞ والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير **وعن** ابي هريرة
اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء
ونصفه نائل

فصل

واما الشجاعة والنجدة ۞ والشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل • والنجدة ثقة النفس عند استرسالها
الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان
الذي لا يجهل ۞ قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة
وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له
فرة وحفظت عنه جولة سواه • **حدثنا** ابو علي الجياني فيما كتب لي نا
القاضي سراج نا ابو محمد الاصيلي نا ابو زيد الفقيه نا محمد بن يوسف
نا محمد بن اسمعيل نا ابن بشار نا غندر نا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء

وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو
سفين آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب
وزاد غيره انا ابن عبد المطلب ۝ قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه
وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته **وذكر** مسلم عن العباس
قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى
الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع
وابو سفين آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث • وقيل كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شي
وقال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم **وقال** علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى
اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون
اقرب الى العدو منه ۝ ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه
وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا • وقيل كان
الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنى العدو لقربه منه
وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس
واشجع الناس ۝ لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على
فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا ۝ وقال
عمران بن حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب • ولما
رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول
للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا
من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما
رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال
من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة
من الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير
اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ
منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول
قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس
قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة

فصل واما الحياء والاغضاء والحياء رقة تعتري وجه الانسان
عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله ۝ والاغضاء
التغافل عما يكرهه الانسان بطبيعته • وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس
حياء واكثرهم عن العورات اغضاء ۝ قال الله سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي

فيستحيي منكم الآية • وحدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي
عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا
محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا عبدان ثنا عبد الله أخبرنا شعبة عن قتادة
سمعت عبد الله مولى أنس عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في
وجهه • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر
لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان
يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي
فاعله وروى أنس أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة فلم يقل له شيئاً
وكان لا يواجه أحداً بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها
قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً
ولا صخاباً بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي
مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص
وروي عنه أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني
عما اضطره الكلام إليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت
فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

فصل

وأما حسن عشرته

وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان أوسع
الناس صدراً • وأصدق الناس لهجة • وألينهم عريكة • وأكرمهم عشرة •
حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي فيما أجازنيه وقرأته على غيره ثنا
أبو إسحق الحبال ثنا أبو محمد بن النحاس ثنا ابن الأعرابي ثنا أبو داود ثنا هشام
أبو مروان ومحمد بن المثنى قالا ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي
كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال
زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف
قرب له سعد حماراً وطاء عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف
فانصرفت • وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم
ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره
ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً
أكرم عليه منه • من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة

قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال
الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
وقال ادفع بالتي هي أحسن الآية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كان
كراعا ويكافئ عليها قال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته
وعن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك وقال جرير بن
عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم وكان
يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره
ويجيب دعوة العبد والحر والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل
عذر المعتذر قال أنس ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده
حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من
لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى
يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي
تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم

تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى
بانتهاء أو قيام وروي أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف
صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان أكثر الناس تبسما
وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب قال عبد الله بن الحارث
ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس كان
خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها
الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون
به التبرك

فصل

وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق
فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم
وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه
السلام أن الله أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم وحكى نحوه
الإمام أبو بكر بن فورك حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه
ثنا إمام الحرمين أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا إبراهيم
ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو الطاهر أنا ابن وهب أنا يونس عن ابن شهاب قال
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب
ثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض

الخلق الا فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي **وروي** انّ اعرابيا جاءه يطلب
منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا
ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل
بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان
الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال
فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال
صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس
فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني بها ارفق
منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت
واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال
الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار **وروي** عنه انه صلى الله عليه وسلم قال
لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم
الصدر • ومن شفقته على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم
وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم
بالسواك عند كل وضوء • وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهية



دخول الكعبة لئلا يعنت امته • ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم
وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته • ومن شفقته صلى الله عليه وسلم
ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة
ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة • ولما
كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلم فقال ان الله قد سمع قول قومك لك
وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك
الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين
قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد
الله وحده ولا يشرك به شيا **وروي** ابن المنكدر ان جبريل
عليه السلم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال
ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم • قالت عايشة
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما **وقال**
ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة
علينا **وعن** عايشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت
تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق **فصل**
واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا وحسن العهد وصلة الرحم
فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراتي عليه ثنا ابو بكر محمد بن

محمد نا ابو اسحق الحبال نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابي نا ابو داود نا محمد بن
يحيى نا محمد بن سنان نا ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله
ابن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمسا بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت
ثم ذكرت بعد ثلث فجيت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا
ها هنا منذ ثلث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة
انها كانت تحب خديجة وعن عايشة قالت ما غرت على امراة ما غرت
على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها
واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن
السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن
العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير
ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان
ال فلان ليسوا لي باوليا غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه
السلم بامامة ابنة ابنته يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها زينب
وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال
له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم

ولما جي باخته من الرضاعة الشيما في سبايا هوازن وتعرفت له بسط
لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محبة او متعتك ورجعت
الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى
الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه
فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السايب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه
الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاجلسه بين يديه وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت
له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل
الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق

فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة
رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون
نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل
عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيمة
واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد ابن العواد
الفقيه رحمه الله بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمس مائة نا

ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المومن ثنا ابن داسه ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن
العدبس عن ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس
عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم متوكيا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم تعظم بعضهم بعضا
وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان
صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقرا
ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس
جلس • وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما
انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في عقلها شي
فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شيت
اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم
اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد • وكان يوم بني قريظة على حمار
مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال • وكان يدعى الى خبز الشعير
والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث
وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا ريا فيه
ولا سمعة • هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجة ذلك مائة بدنه

ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد
يمس قادمته تواضعا لله تعالى قال ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا
تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبيا • ولا تخيروني على موسى
ونحن احق بالشك من ابرهيم • ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت
الداعي • وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابرهيم • وسياتي
الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله تعالى وعن • عايشه
والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته
في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم
نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم
ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس ان كانت الامة من
اما اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث
شاءت حتى يقضي حاجتها • ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال
له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد
وعن ابي هريرة قال دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى
سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى
الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست
بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشي

احق نسبه ان نحمله **فصل** وأما عدله صلى الله عليه وسلم
وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس وأعدل
الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادّوه وعداه • وكان
يسمى قبل ذلك الأمين قال ابن إسحق كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من
الأخلاق الصالحة • وقال تعالى مطاع ثم أمين • أكثر المفسرين على أنه
محمد صلى الله عليه وسلم • ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن
يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك
قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم
كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام •
وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض حدثنا
أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا أبو الفضل بن خيرون ثنا أبو يعلى بن زوج الحرة
حدثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا أبو كريب
ثنا معوية بن هشام عن سفين عن أبي إسحق عن ناجية بن كعب عن علي أن أبا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل
الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروى • غيره لا نكذبك وما أنت
فينا بمكذب • وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا
الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال

أبو جهل والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط • وسأل هرقل عنه أبا سفيان
فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا وقال النضر
بن الحرث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا
وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر
والله ما هو بساحر لا والله ما هو بساحر • وفي الحديث عنه ما لمست يده
يد امرأة لا يملك رقها • وفي حديث علي في وصفه عليه السلام أصدق الناس
لهجة • وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت
إن لم أعدل • قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه
قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال
ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الآخرة هم غافلون • ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة
أجزاء جزأ لله وجزأ لأهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس
وكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول • أبلغوا حاجة من لا يستطيع
إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع آمنه الله يوم الفزع الأكبر • وعن
الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف أحد ولا يصدق

احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما
كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك
ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت
لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار
من مكة فسمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على
اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى
مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء

فصل

واما وقاره صلى الله عليه
وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه • فحدثنا ابو علي الجياني
الحافظ اجازة وعارضت بكتابه ثنا ابو العباس الدلائي ثنا ابو ذر الهروي انا ابو
عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد
عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن زيد
يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج
شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه محتبيا
وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان
كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل • وكان ضحكه
تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير ۝ وكان ضحك اصحابه عنده التبسم

توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير ۝ وفي
صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب • وفي الحديث
الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي
غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي
محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته
على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة كان
صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه • وكان صلى الله
عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة الطيبة ويستعملهما كثيرا •
ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة
عيني في الصلوة ۝ ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام
والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب
واستعمال خصال الفطرة

فصل

واما زهده في الدنيا فقد
تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه
عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو

ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفين بن العاص والحسين
ابن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا انا احمد بن عمر نا ابو العباس
الرازي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفين نا ابو الحسين بن الحجاج نا ابو بكر بن
ابي شيبة نا ابو معوية عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عايشة قالت
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله
وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متوالين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر
بباله • وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر
حتى لقي الله وقالت عايشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا
ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا • وفي حديث عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه وبغلته
وارضا جعلها صدقة قالت عايشة ولقد مات وما في بيتي شي ياكله ذو
كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة
ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع
اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فاحمدك واثني عليك • وفي حديث آخر
ان جبريل نزل اليه فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه
الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت • وعن عايشة قالت ان كنا آل محمد لنمكث

شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف
هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز
الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن عباس نحوه وعن ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة
طاويا لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط
وعن عايشة انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن
حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام
عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا له ذلك
فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي • وكان ينام احيانا
على سرير مرمول بشريط حتى يوثر في جنبه وعن عايشة قالت لم يمتلئ
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد • وكانت
الفاقة احب اليه من الغنى • وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا
يمنعه صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها
ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني
من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا
على

ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي
غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد
الا اشهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم

فصل

واما خوفه ربه
وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا ابو محمد بن
عتاب قراءة مني عليه ثنا ابو القاسم الطرابلسي ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي
ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب
عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي
رفعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها
ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم
الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام
وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى
ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عائشة
كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت

كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس
وام سلمة وانس وقالت كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا ولا نائما الا رايته
نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة
الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه
يقول سبحان الله ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك
ثم قرا آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال
سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وآل
عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
باية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل وعن ابن ابي هالة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة
وقال عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة
وعن علي رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي
وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي
والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي

والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة • وفي حديث اخر وثمرة فؤادي في ذكره
وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** اعلم وفقنا الله واياك ان
صفات جميع الانبيا والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة
وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها صفة الكمال
والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف
الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض • قال
الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض • وقال ولقد اخترناهم على
علم على العالمين • وقد قال عليه السلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على
صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم
ادم عليه السلم طوله ستون ذراعا في السما • وفي حديث ابي هريرة رايت
موسى فاذا رجل ضرب رجل كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى
فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس • وفي
حديث اخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابرهيم به • وقال في
في حديث اخر في صفة موسى صلى الله عليه وسلم كاحسن ما انت راي من ادم
الرجال • وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلم ما بعث الله تعالى من بعده
لوط نبيا الا في ذروة من قومه • ويروى ثروة اي كثرة ومنعة وحلي
الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما بعث الله

نبيا الا كان حسن الوجه حسن الصوت • وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم
صوتا • وفي حديث هرقل قال وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو
نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها • وقال تعالى في ايوب
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب • وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب
بقوة واتيناه الحكم صبيا الى قوله ويوم يبعث حيا • وقال ان الله
يبشرك بيحيى الى الصالحين • وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم
وال عمران الاتين • وقال في نوح انه كان عبدا شكورا • وقال
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين • وقال اني عبد الله
اتاني الكتاب الى ما دمت حيا • وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا
موسى فبراه الله مما قالوا الاية • وقال النبي صلى الله عليه وسلم كان
موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شي استحياء الحديث
وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وقال في وصف جماعة
منهم اني لكم رسول امين • وقال ان خير من استاجرت القوي الامين
وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل • وقال تعالى ووهبنا له
اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده • فوصفهم باوصاف جمة
من الصلاح والهدى والاجتبا والحكم والنبوة • وقال فبشرناه بغلام عليم
وحليم • وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم

ووقع الاستاذ ابي الانوار محمد ال دات لطف الله

الى امين ۝ وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين • وقال في اسمعيل انه
كان صادق الوعد الامين ۝ وقال في موسى انه كان مخلصا • وفي سليمان
نعم العبد انه اواب ۝ وقال واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي
الايدي والابصار الى الاخيار • وفي داود انه اواب ۝ ثم قال وشددنا ملكه
وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ۝ وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني
حفيظ عليم • وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ۝ وقال وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت • وقال ولوطا
آتيناه حكما وعلما ۝ وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية **قال**
سفين هو الحزن الدايم في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم
الدالة على كمالهم • وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي ابن نبي ابن نبي
ابن نبي ۝ وفي حديث انس وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم • وروي
ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السما تخشعا وتواضعا لله
وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة وياكل خبز الشعير ۝ واوحى الله اليه يا راس
العابدين وابن محجة الزاهدين • وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده
فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي ۝ وقيل ليوسف ما لك
تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع

وروى



ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم خفف على داود القران فكان يامر بدوابه
فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده ۝ قال الله تعالى
والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سال ربه ان يرزقه
عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله • وقال عليه السلم احب الصلوة الى
الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل
ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما ۝ وكان يلبس
الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه
بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السما حيا
من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها • وقيل بكى حتى نبت العشب
من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا ۝ وقيل كان يخرج
متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثنا عليه فيزداد تواضعا وقيل
لعيسى عليه السلم لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني
بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام
وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين ۝ وقيل ان موسى عليه
السلم لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال •
وقال عليه السلم لقد كان الانبيا يبتلى احدهم بالفقر والقمل
وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم ۝ وقال عيسى عليه السلم

لحسن لقيه اذهب بسلام فقيل له فى ذلك فقال اكره ان اعود لسانى
المنطق بسوء وقال مجاهد طعام يحيى العشب وكان يبكى من خشية الله
عز وجل حتى اتخذ الدمع مجرى فى خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
وحكى الطبرى عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش وياكل فى نقرة
من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به
من كلامه واخبارهم فى هذا كله مسطورة وصفاتهم فى الكمال
وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها
ولا نلتفت الى ما تجده فى بعض كتب جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف هذا

فصل قد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا
من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب فى حقه عليه السلام
ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء
ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره فى الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا فى ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه
الفصول بذكر حديث الحسن عن ابى هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا
وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه
ومشكله حدثنا القاضى ابو على الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتى

عليه سنة ثمان وخمس مائة ثنا الامام ابو القسم عبد الله بن طاهر التميمى مما قرأت
عليه أخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن الحسن النيسابورى والشيخ الفقيه
ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدى والقاضى ابو على الحسن بن على بن جعفر
الوخشى قالوا ثنا ابو القسم على بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى انا ابو سعيد الهيثم
ابن كليب الشاشى انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ ثنا سفين بن وكيع
ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلى املاء من كتابه حدثنى رجل من بنى تميم
من ولد ابى هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضى الله عنها يكنى ابا عبد الله عن
ابن لابى هالة عن الحسن بن على بن ابى طالب رحمه الله قال سالت خالى هند بن
ابى هالة قال القاضى ابو على وقرأت على الشيخ ابى طاهر احمد بن الحسن بن
احمد بن خذاذ الكرجى الباقلانى قال واجازنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد
ابن الحسين بن خيرون قالا انا ابو على الحسن بن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن
شاذان بن حرب بن مهران الفارسى قراءة عليه فاقر به انا ابو محمد الحسن بن محمد
ابن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب
المعروف بابن اخى طاهر العلوى ثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن على
ابن الحسين بن على بن ابى طالب قال حدثنى على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين
عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على عن على بن الحسين
قال قال الحسن بن على واللفظ لهذا السند سالت خالى هند بن ابى هالة

ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم
ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة
من مسألته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ سلطانا حاجة
من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك
ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفين بن وكيع يدخلون روادا ولا يفترقون
الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقها قلت فاخبرني عن مخرجه كيف
كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا
مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي بشره عن احد وخلقه ويتفقد
اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح
ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل
حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم
وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة
فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها
واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل

جلسائه بنصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او
قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا
بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا
وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية
الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر
وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته
وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب
فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي
ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلث الريا والاكثار وما لا يعنيه
وترك الناس من ثلث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم
الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير
واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له
حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما
يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب

الحاجة يطلبها فارفدوه • ولا يطلب الثنا الا من مكافئ • ولا يقطع على
احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام • هنا انتهى حديث سفين
ابن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته • قال كان سكوته على اربع على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر • فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع
بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى • وجمع له الحلم في الصبر فكان
لا يغضبه شي يستنفره • وجمع له في الحذر اربع اخذه الحسن ليقتدى به وتركه
القبيح ليتنهى عنه واجتهاده الراي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر
الدنيا والاخرة • انتهى الوصف بحمد الله تعالى وعونه

فصل

في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله • قوله المشذب اي البائن الطول
في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط • والشعر الرجل الذي
كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد • والعقيقة شعر الراس
اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة • ويروى
عقيصته • وازهر اللون نيره • وقيل ازهر حسن • ومنه زهرة الحيوة الدنيا
اي زينتها • وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم
والامهق هو الناصع البياض • والادم الاسمر اللون • ومثله في الحديث الاخر
ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر •
والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه • والاشم الطويل قصبة الانف

والقرن اتصال شعر الحاجبين • وضده البلج • ووقع في حديث ام معبد
وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة • وفي الحديث الاخر
اشكل العين • واشجر العين • وهو الذي في بياضها حمرة • والضليع الواسع
والشنب رونق الاسنان وماؤها • وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في
اسنان الشباب • والفلج فرق بين الثنايا • ودقيق المسربة خيط الشعر الذي
بين الصدر والسرة • بادن ذو لحم • ومتماسك معتدل الخلق يمسك
بعضه بعضا • مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم
ليس بمسترخي اللحم • والمكلثم القصير الذقن • وسواء البطن والصدر
اي مستويهما • ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال
وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس
وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس
الصدر ولا مفاض البطن • ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض
كما وقع في الرواية الاخرى • وحكاه ابن دريد • والكراديس رؤس
العظام • وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش
رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين • وشثن الكفين والقدمين لحيمهما
والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع •
وذكر ابن الانباري انه روى سائل الاطراف او قال سائن بالنون قال

وهما بمعنى تبدل اللام من النون إن صحت الرواية بها وأما على
الرواية الأخرى وسائر الأطراف فإشارة إلى فخامة جوارحه كما
وقعت مفصلة في الحديث ● ورحب الراحة أي واسعها وقيل كنى به
عن سعة العطاء والجود ● خمصان الأخمصين أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع
الذي لا تناله الأرض من وسط القدم ● ومسيح القدمين أي أملسهما
ولهذا قال ينبو عنهما الماء ● وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا قال
فيه إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله
مسيح القدمين ● وبه قالوا سمي المسيح عيسى ابن مريم ولم يكن له أخمص
وقيل مسيح لا لحم عليها ● وهذا أيضا يخالف قوله شثن القدمين
والتقلع رفع الرجل بقوة ● والتكفؤ الميل إلى سنن المشي وقصده
والهون الرفق والوقار ● والذريع الواسع الخطو أي أن مشيه كان
يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد
سمته ● وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من
صبب ● وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أي لسعة فمه والعرب
تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض ● وحب
الغمام البرد ● وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة أي جعل من جزء نفسه
ما يوصل إليه فيتوصل عنه للعامة ● وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبذلها

في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده
ولا يتفرقون إلا عن ذواق ● قيل عن علم يتعلمونه ● ويشبه أن يكون
على ظاهره أي في الغالب والأكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد
والموازرة المعاونة ● وقوله لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ لمصلاه موضعا
معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث ● وصابره
أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ● ولا تؤبن فيه الحرم أي لا يذكرن بسوء
ولا تنثى فلتاته أي تتحدث بها أي لم تكن فيه فلتة وإن كانت من أحد
سترت ● ويرفدون يعينون ● والسخاب الكثير الصياح ● وقوله
ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ أي على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له
ويستفزه يستخفه ● وفي حديث آخر في وصفه منهوس العقب
أي قليل لحمها ● وأهدب الأشفار أي طويل شعرها ●

قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا من مكافئ

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم ●
لا خلاف أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند الله
وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى ● واعلم أن الأحاديث الواردة في
ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني

الفصل الاول

ما ورد منها في اثني عشر فصلا
فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفا ورفعة الذكر
والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة
اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا لفظه ثنا ابو
الحسن الفرغاني حدثنا ام القسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم وهو
ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن
ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق
قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال
فانا من اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها
ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون فانا من
السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني من خيرها قبيلة
وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا الاية فانا اتقى ولد ادم
واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك
قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وعن ابي سلمة عن ابي
هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح
والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى

من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
ومن حديث انس انا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس
انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة عنه عليه السلم اتاني جبريل
فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب
افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة
اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل بمحمد تفعل هذا فما ركبك احد
اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه عليه السلم لما خلق الله
ادم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي
في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس
ابن عبد المطلب رضي الله عنه فيه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة
وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي

وقف

نصرت بالرعب مسيرة شهر • وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما
رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل • واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي
وبعثت الى الناس كافة • واعطيت الشفاعة • وفي رواية بدل هذه
الكلمة وقيل لي سل تعطه • وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف
علي التابع من المتبوع • وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود • قيل السود
العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم • وقيل البيض
والسود من الامم • وقيل الحمر الانس والسود الجن • وفي الحديث الاخر عن
ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نايم اذ جيء
بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي • وفي رواية عنه وختم بي النبيون
وعن عقبة بن عامر انه قال عليه السلم اني فرط لكم واني شهيد عليكم
واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض واني والله
ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن
عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي
لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة
العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة • ومن رواية ابن وهب
انه عليه السلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب
اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان

ملكا لا ينبغي لاحد من بعده • فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك
اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السما وجعلت
الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت
قلوب امتك مصاحفها وخبات لك شفاعتك ولم اخباها لنبي غيرك
وفي حديث اخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من
امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا
تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي
شهرا وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا
ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه عليه السلم
ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيمة • معنى هذا عند المحققين بقا معجزته ما بقيت الدنيا
وساير معجزات الانبيا ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة
القران تقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة • وفيه كلام
يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر
باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجبا من امته

واعطى نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن
مسعود وعمار • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل
وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة
من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وعدة ابي
ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا
على اهل السما وعلى الانبيا صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السما
قال ان الله قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية ◦
وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا • قالوا فما فضله على الانبيا قال
ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ◦ وقال لمحمد وما ارسلناك
الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر
وشداد بن اوس وانس بن مالك ◦ فقال نعم انا دعوة ابي ابرهيم يعني
قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم • وبشرى عيسى ورات امي حين
حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من اهل الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض ◦ وفي حديث اخر ثلثة رجال بطست من ذهب مملوءة

ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم
استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سودا فطرحاها ثم غسلا
بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه ◦ قال في حديث اخر ثم تناول احدهما
شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا ايمانا
وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتام •
وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران
واذنان سميعتان ◦ ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني
فرجحتهم ثم قال زنه بماية من امته فوزنني فوزنتهم ثم قال زنه بالف
من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها
قال • في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين
عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك
وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته
قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة
وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم عند معصيته
قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ◦ ويروى تقبل توبتي فقال له الله
من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله
محمد رسول الله ويروى ◦ محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم

عليك

خلقك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى
ادم من ربه كلمات ۝ وفي رواية الاجرى فقال ادم لما خلقتنى رفعت راسى
الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت
انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله
اليه وعزتى وجلالى انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان ادم يكنى بابى محمد وقيل بابى البشر وروى عن شريح
ابن يونس انه قال ان لله ملئكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد
او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضى عن
ابى الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى الى السماء
اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلى ۝ وفى
التفسير عن ابن عباس فى قوله وكان تحته كنز لهما ۝ قال لوح من ذهب
فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب ۝ عجبا لمن ايقن بالنار كيف
يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها ۝ انا الله
لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى وعن ابن عباس على باب الجنة
مكتوب انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها ۝ وذكر
انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقى مصلح وسيد امين وذكر
السمنطارى انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد

جبينه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون
ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله
وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم
من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم فى
سماعه وابن وهب فى جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت
فيه اسم محمد الا نمى ورزقوا وعنه عليه السلم ما ضر احدكم ان يكون فى
بيته محمد ومحمدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب
العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته
وحكى النقاش ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية ۝ قام
خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلنى عليكم تفضيلا وفضل
نسائى على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل

فى تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية
وامامة الانبيا والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى
ومن خصائصه عليه السلم قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة
مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته الاخبار ۝ قال الله تعالى
سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية ۝

صحاح

وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من آيات ربه الكبرى
فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلم اذ هو نص القرآن
وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا عليه السلم • فيه
احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب
ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما
القاضي ابو علي التميمي • وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس
العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم
ابن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال • اتيت بالبراق وهو دابة ابيض
طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه • قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد
فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى
السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم

ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعيا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء
الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا
هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء الرابعة
وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير • قال الله ورفعناه مكانا
عليا • ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون فرحب بي
ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى
فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا
بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف
ملك لا يعودون اليه • ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى فاذا ورقها
كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال • قال فلما غشيها من امر الله ما
غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها • فاوحى الله الي
ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف
فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت
الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت
حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف •
فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات

كل يوم وليلة بكل صلوة عشر فذلك خمسون صلوة ۞ ومن هم بحسنة فلم
يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عشرا • ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب
شيا فان عملها كتبت سيئة واحدة ۞ قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته
فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه
جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شا ولم يات احد عنه باصوب
من هذا • وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك
ابن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجي الملك وشق بطنه وغسله بما زمزم وهذا انما
كان وهو صبي وقبل الوحي ۞ وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى
اليه • وذكر قصة الاسرا ولا خلاف انها كانت بعد الوحي ۞ وقد قال
غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا • وقد روى ثابت عن انس
من رواية حماد بن سلمة ايضا مجي جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب
مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسرا كما
رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسرا الى بيت المقدس والى سدرة
المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هنالك فازاح
كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر
يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل

ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جا بطست من ذهب ممتلى حكمة وايمانا
فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السما فذكر القصة
وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم
وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت
عن انس اتقن واجود ۞ وقد وقعت في حديث الاسرا زيادات نذكر منها
نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب • وفيه قول كل نبي له مرحبا
بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه
من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام ۞
وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي
قال ثم ادخلت الجنة • وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى
بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة
اكثر مما يدخل من امتي ۞ وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبيا
فحانت الصلوة فاممتهم فقال قايل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه
فالتفت فبداني بالسلام ۞ وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس
فنزل فربط فرسه الى الصخرة فصلى مع الملايكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل
من هذا معك قال هذا محمد خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا
حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء



فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى
وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى
الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله
الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان
فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي وسطا وجعل امتي هم
الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما • فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى
السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم • وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي
الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض
منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها • قال اذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش من ذهب • وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي
هذه سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم
يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة
يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها
الملائكة قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى • فقال تبارك وتعالى
له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال

واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل •
فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك
الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك
لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين
خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا
وخاتما • وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثا اعطي الصلوات الخمس • واعطي خواتيم سورة البقرة • وغفر لمن لا يشرك
بالله شيئا من امته المقحمات • وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآية
رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح • وفي حديث شريك انه رأى
موسى في السابعة • قال بتفضيل كلام الله • قال ثم علا به فوق ذلك
بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن انس انه
صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس وذكر البزار عن علي
ابن ابي طالب لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة
يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعب عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله

مركب عبد اكرم على الله من محمد فركبها حتى اتى بها الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى
فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جبريل من هذا قال والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق وان هذا الملك
ما رايته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فقال الملك الله اكبر فقيل له من وراء
الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر ○ ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا لا اله الا انا • وذكر مثل هذا فى
بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح
وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السما فيهم ادم ونوح قال
ابو جعفر محمد بن على بن الحسين راويه ○ اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف
على اهل السموات والارض قال القاضى رضى الله عنه ما فى هذا الحديث
من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق فهم المحجوبون والبارى
جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على
ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ○ • فقوله فى هذا الحديث الحجاب
واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه
من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته
وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذى خرج من ورائه

ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص
بالذات ويدل عليه قول كعب فى تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم
الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم ○ واما قوله الذى يلى
الرحمن فيحمل على حذف المضاف اى يلى عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته
او مبادى حقائق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اى اهلها
وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع فى هذا الموطن
كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا او من وراء حجاب اى وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول
بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه فى غير هذا الموطن بعد هذا
او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم

فصل

ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او جسده على ثلاث
مقالات فذهبت طائفة الى انه اسرا بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم
ان رؤيا الانبيا حق ووحى والى هذا ذهب معاوية وحكى عن الحسن
والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق ○ وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التى اريناك • وما حكوا عن عايشة ما فقدت جسد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ○ وقوله بينا انا نائم • وقول انس وهو نائم فى
المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال فى اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام

وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسرا بالجسد وفي اليقظة
وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفه وعمر وابي هريرة
ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير
وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد
وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عايشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة
عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين
والمفسرين وقالت طايفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس
والى السما بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب فيه
بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد به واظهار الكرامة له بالاسرا
اليه قال هولاء ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره
فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا
ففي حديث انس وغيره ما يقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال
والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رحمه الله والحق من هذا والصحيح
ان شا الله انه اسرا بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح
الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة
وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروحه وعنه

ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه
اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفا من اسلم
وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان
خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبيا
ببيت المقدس في رواية انس او في السما على ما روى غيره وذكر مجي جبريل له بالبراق
وخبر المعراج واستفتاح السما فيقال ومن معك فيقول محمد ولقايه الانبيا
فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى
في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ جبريل بيدي فعرج بي الى السما الى قوله
ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى
سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رويا
عين راها النبي صلى الله عليه وسلم لا رويا منام وعن الحسن فيه بينا انا نايم
في الحجر جاني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيا فعدت لمضجعي ذكر ذلك
ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بيدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر
خبر البراق وعن ام هاني ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
في بيتي تلك الليلة صلى العشا الاخرة ونام بيننا فلما كان قبل الفجر اهبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت
معكم العشا الاخرة كما رايت بهذا الوادي ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه

ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر من
رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك
يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى
وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في
مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلث وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر عنه
صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم
غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلقوا
بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش
تسألني عن مسراي فسألتني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط
فرفعه الله لي انظر اليه • ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديث الاسرا عنه عليه السلم انه قال ثم رجعت الى خديجة وما
تحولت عن جانبها ه

فصل

في ابطال حجج من قال انها نوم

احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا • قلنا قوله سبحان الذي
اسرى يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين
واسرا بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك

في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا
في هذه الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قصة الحديبية وما وقع في نفوس
الناس من ذلك • وقيل غير هذا • واما قولهم انه سماها في الحديث مناما
وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان • وقوله ايضا وهو نائم • وقوله
ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك كان وهو نائم
او اول حمله والاسرا به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها
الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا نائم في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت
يعني اصبحت واستيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه
لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في
المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض
وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى يستفق فلم
ويرجع الى الحالة البشرية الا وهو بالمسجد الحرام • ووجه ثالث
ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه
حاضر ورؤيا الانبيا حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم • وقد مال بعض
اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبيا ولعله كانت له في هذا
الاسرا حالات • ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن

هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا
انا نائم وربما قال مضطجع ۝ وفي رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم وربما قال
في الحجر مضطجع • وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته
بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا ۝ وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية
شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان
في صغره عليه السلم وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء
باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد
بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مرة عن مالك بن صعصعة • وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على
الشك • وقال مرة كان ابو ذر يحدث ۝ واما قول عايشة ما فقد
جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجه ولا في
سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرا متى كان فان
الاسرا كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام
ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام • وقد قيل كان الاسرا
لخمس قبل الهجرة • وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس ۝ والحجة لذلك
تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل انها حدثت بذلك

عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في
حديث ام هاني وغيره • وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث
الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة ۝ وايضا فقد روي
في حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة
وكل هذا يوهنه بل الذي يدل على صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه
لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره • فان قيل فقد قال تعالى
ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم
ووحي لا مشاهدة عين وحس ۝ قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فقد اضاف الامر للبصر • وقد قال اهل التفسير في قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها
وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه ۝

فصل

واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز ۝ فاختلف السلف فيها
فانكرته عايشة حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي
عليه حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا نا القاضي يونس
ابن مغيث نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا
عبد الله بن علي نا محمود بن ادم نا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال
لعايشة يا ام المومنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت

وقف

من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار الاية وذكر الحديث • وقال جماعة بقول
عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود • ومثله عن ابي هريرة انه انما راى
جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رويته في الدنيا جماعة من
المحدثين والفقهاء والمتكلمين • وعن ابن عباس انه راه بعينه ○ وروى
عطا عنه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفواده مرتين • وذكر
ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل راى محمد ربه فقال نعم والاشهر
عنه انه راى ربه بعينيه • روى ذلك عنه من طرق وقال ○ ان الله اختص
موسى بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالروية وحجته قوله تعالى ما كذب
الفواد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي
قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورويته بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين
وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي
الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد راى ربه مرتين فكبر
كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رويته وكلامه بين محمد وموسى
فكلمه موسى وراه محمد بقلبه ○ وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الاية
قال راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب

القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك
قال رايته بفوادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمة وقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى
الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه
ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة • وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود
وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى
النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه راه راه حتى
انقطع نفسه يعني نفس احمد ○ وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه
وجبن عن القول برويته في الدنيا بالابصار • وقال سعيد بن جبير لا اقول ل
راه ولا لم يره ○ وقد اختلف في تاويل الاية عن ابن عباس وعكرمة
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود راى جبريل وعن عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال
راه وعن ابن عطاء في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره
للروية وشرح صدر موسى للكلام • وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل
الاشعري وجماعة من اصحابه انه راى الله ببصره وعيني راسه وقال كل
اية اوتيها نبي من الانبيا عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا وخص بينهم من
بتفضيل الروية ○ ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل وا ضح



ولكنه جايز ان يكون **قال** القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امترا
فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جايزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على
جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلم لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا
يجوز بل لم يسل الا جايزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا
يعلمه الا من علمه الله فقال له الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم
ضرب له مثالا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليحيل رؤيته
في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا
امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها
بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في ذلك واذ ليس يقتضي قول من
قال في الدنيا الاستحالة • وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة وقد استدل بعضهم بهذه الاية بانه لا تدركه ابصار
الكفار وقيل لا تدركه الابصار اي لا تحيط به وهو قول ابن عباس • وقد قيل
لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون • وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية • وقوله تبت اليك
لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو
تاويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق
التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل • وقوله تبت اليك

اي من سؤالي ما لم تقدره لي • وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس
لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات • وقد رايت لبعض السلف
والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا
وقواهم وكونها متعرضة للافات والفنا فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان
في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية • وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه
باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية روي الباقي بالباقي
وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة
فاذا قوى الله من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه
وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة
الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه والله اعلم **وقد** ذكر
القاضي في اثنا اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلم راى الله فلذلك
خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك
والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما
تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره حتى راه على هذا القول
وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة
وقوله هذا يدل على ان موسى راه • وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه

ثم قال

ويرؤيته الجبل له استدل من قال برؤية نبينا محمد له اذ جعله دليلا على الجواز ولا
مرية في الجواز اذ ليس في الايات نص بالمنع ۞ واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم
والقول بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم
والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك • وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده ولم يسنده الى النبي صلى الله
عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ۞ ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية
وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن ۞ وحديث ابي ذر الاخر
مختلف محتمل مشكل فروي نور اني اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني اراه
وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة
الرؤية ۞ فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا
منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نور اني اراه اي كيف اراه مع حجاب
النور المغشي للبصر ۞ وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور • وفي الحديث الاخر
لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الادراك
الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب
اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله تعالى الموفق

فصل

وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه
بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان

الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد
الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكى عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود
وابن عباس وانكره آخرون • وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء
عنه عليه السلام في قوله دنى فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن ۞ وفي
حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما
يشاء • فقالوا هي ثلثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال الملائكة
كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم ۞ الثالث قوله
وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة • وقد قيل
الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة ۞ وقد ذكر ابو بكر البزار
عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله
من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر • وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك
۞ ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه
وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من انبيائه جائز

غير ممتنع عقلاً ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر احتمل عليه وكلامه
لموسى كان بحق مقطوع به بنص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة
ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السما السابعة بسبب كلامه ورفع محمداً
فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق
هذا أو يبعد سماع الكلام **فصل** وأما ما ورد في حديث الإسرا
وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو
أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام
أو مختص بأحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى **قال** الرازي وقال ابن عباس
هو دنى فتدلى من ربه وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى
واحد أي قرب **وحكى** مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنى من محمد فتدلى
إليه أي أمره وحكمه **وحكى** النقاش عن الحسن قال دنى من عبده محمد صلى الله
عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال
وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات
وسمعت كلام ربي **وعن** أنس في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا
الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء
وأوحى إليه خمسين صلوة وذكر حديث الإسرا **وعن** محمد بن كعب هو محمد دنا

من ربه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان
منه كقاب قوسين ۞ وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود
وقال أيضاً انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه •
ودنى محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه
وزال عن قلبه الشك والارتياب **قال** القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا
قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي من ربه وقربه
منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار
غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول
في قوله ينزل ربنا إلى سما الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول
وإحسان **قال** الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كل
ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعداً عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله
قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائداً إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن
نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله
عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب وإظهار التحفي وإنافة
المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبراً تقربت
منه ذراعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة قرب بالإجابة والقبول وإتيان

بالاحسان وتعجل المامول

فصل

فى ذكر تفضيله فى القيمة بخصوص الكرامة

حدثنا القاضى ابو على نا ابو الفضل وابو الحسين قالا نا ابو يعلى نا السنجى نا ابن محبوب نا الترمذى نا الحسين بن يزيد الكوفى نا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدى وانا اكرم ولد ادم على الله ولا فخر • وفى رواية ابن زحر عن الربيع بن انس فى لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدى وانا اكرم ولد ادم على ربه ولا فخر ويطوف على الف خادم كانهم لولو مكنون وعن ابى هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيرى وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابى هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فيدخلنيها ومعى فقراء

المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع فى الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبى صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابى هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة • وفى حديث اخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وموسى وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما فى امتى يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتى وذريتى فاجعلنى من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخى ليس بينى وبينه نبى وانا اولى الناس به • قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلم لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه فى ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذى يلجا الناس اليه فى حوايجهم فكان حينيذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد فى ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى فى الدنيا والاخرة لكن فى الاخرة انقطعت دعوى المدعين فى الدنيا وكذلك لجا الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة فكان سيدهم فى الاخرى دون دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء

عه

لذلك صح

محمد فيقول

وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لم يظما
ابدا وعن ابى ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة
وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفى رواية حارثة بن
وهب كما بين المدينة وصنعاء • وقال انس ايلة وصنعا • وقال ابن عمر
كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة وابن
عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى والمستورد وابو برزة الاسلمى وحذيفة
ابن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد
وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدرى وعبد الله الصنابحى وابو هريرة والبراء وجندب
وعايشة واسما ابنتا ابى بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضى الله عنهم •

فصل فى تفضيله بالمحبة والخلة •

جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين
بحبيب الله اخبرنا ابو القسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد قالت
نا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه نا القاضى ابو الوليد نا
عبد الله بن احمد نا ابو الهيثم نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبد الله
ابن محمد نا ابو عامر نا فليح نا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابى سعيد عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر • وفى حديث اخر
ان صاحبكم خليل الله • ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم

خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا • وقال اخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه الله تكليما • وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه • وقال
اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ
ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك • وعيسى روح الله وهو
كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك • الا وانا حبيب الله ولا فخر • وانا
حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر • وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر
وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقرا المؤمنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر • وفى حديث ابى هريرة من قول
الله تعالى لنبيه عليه السلم انى اتخذتك خليلا فهو مكتوب فى التوراة وانت
حبيب الرحمن قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه اختلف فى تفسير
الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذى ليس فى انقطاعه اليه
ومحبته له اختلال • وقيل الخليل المختص • واختار هذا القول غير واحد
وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفا • وسمى ابرهيم خليل الله لانه يوالى فيه
ويعادى فيه • وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده • وقيل الخليل اصله
الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى بها ابرهيم لانه قصر حاجته

على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال ألك حاجة قال اما اليك فلا ۝ وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفا
المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار • وقال بعضهم اصل الخلة
المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والرفع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في
كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة
لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة
اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عن من دونه والاضراب
عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه
عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته ۝ او
لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا
قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلم
ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام • واختلف العلماء
ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء
فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة
وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت

متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه ۝ وقد اطلق المحبة عليه السلم لفاطمة وابنيها
واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا
ارفع من درجة الخليل ابرهيم • واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا
في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة
اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه
وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى
التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفا القلب لله واخلاص
الحركات لله كما قالت عايشة كان خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط
ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله ۝ شعر

قد تخللت مسلك الروح مني ۝ وبذا سمي الخليل خليلا ۝
فاذا ما نطقت كنت حديثي ۝ واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا مرتبة الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه
الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية وحكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت
قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله

غيظاً لهم ورغماً على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فراده شرفا
بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان تولوا فان
الله لا يحب الكافرين ۝ وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين
كلاماً في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على
الخلة • ونحن نذكر منه طرفاً يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل
بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب
يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى ۝ وقيل الخليل الذي يكون
مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي • والحبيب الذي
مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية والخليل قال
ولا تخزني • والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي • فابتدئ بالبشارة قبل السؤال
والخليل قال في المحنة حسبي الله ۝ والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال
والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام • والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال
من تفضيل المقامات والاحوال ۝ وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا.

فصل

• في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود •

قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً اخبرنا الشيخ ابو علي

الغساني الجياني فيما كتب الي بخطه نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا
ابو زيد المروزي وابو احمد قالا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا اسمعيل بن ابان
نا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة
جثاً كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي
صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً
فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلم يحشر الناس يوم
القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول
ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة
قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده
وعن ابن مسعود عنه عليه السلم انه قيامه عن يمين العرش مقاماً لا يقومه
غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون • ونحوه عن كعب والحسن ۝ وفي رواية
هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى
الحديث وعن ابي موسى عنه عليه السلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة
وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين
وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي

لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما يلقى امتى من بعدى وسفك بعضهم دماء
بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوليني شفاعة يوم
القيمة فيهم ففعل ۝ وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث
يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه
فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدى
من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذى ذكر الله ۝ وقال
ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر
زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم
ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل
يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ۝ ونحوه عن ابن مسعود
ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله
ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد
المحمود الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج
الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذى وعده ۝ وفي
رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام

يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو
استشفعنا الى ربنا ۝ ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة
وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون
من يشفع لكم فياتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء
اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب مثله بعده ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى
اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع
لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي
رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى ابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا فذكر
مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله
وفي رواية فانه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول
لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى

فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي
فإذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فأخر ساجدا ○ وفي رواية
فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن يلهمنيها الله • وفي رواية فيفتح
الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ○ قال في رواية أبي
هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول
يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل أمتك من لا حساب عليه من
الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب
ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل وقال مكانه ثم أخر ساجدا فيقال لي يا محمد
ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب أمتي أمتي
فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من برة أو شعيرة من إيمان
فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول
وقال فيه مثقال حبة من خردل فأفعل ثم أرجع وذكر مثل الأول وقال فيه أدنى
أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك
وقل يسمع واشفع تشفع واسأل تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال
ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال
لا إله إلا الله ○ ومن رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول

يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود ○ وعن أبي بكر وعقبة
بن عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم
فيقومان جنبتي الصراط • وذكر في رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع (في صفة الصراط)
فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم
على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث ○ وفي
رواية أبي هريرة فأكون أول من يجيز ○ وعن ابن عباس عنه عليه السلام يوضع للأنبياء
منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول
الله تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم
فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع
حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار حتى أن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت
لغضب ربك في أمتك من نقمة ○ ومن طريق زياد النميري عن أنس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد الناس يوم
القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول من يفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ
بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فأخر له ساجدا
وذكر نحو ما تقدم • ومن رواية أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من شجر وحجر ○ فقد اجتمع من اختلاف
ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من أول الشفاعات

الا اخرها من حين يجمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس
والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف
ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جا في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة
وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في
الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار حسب ما تقتضيه الاحاديث منهم
الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم ۝ وفي الحديث
المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة • قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها
مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها
ما لا يعد لكن حالهم عند الدعا بها بين الرجا والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما
شاءوه يدعون بها على يقين من الاجابة ۝ وقال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي
هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان
اوخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة • وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة
مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ۝ ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة
وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالامة مضمونة بالاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال
لامته اشيا من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه

الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله احسن ما
جزى نبيا عن امته وصلى الله عليه وعليهم اجمعين وسلم تسليما كبيرا •

فصل

في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد
بقراءتي عليهما قالا نا ابو علي الغساني نا النمري نا ابن عبد المومن نا ابو بكر التمار نا
ابو داود نا محمد بن سلمة نا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب
ابن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله
عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد
من عباده وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة ۝
وفي حديث اخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه
قباب اللولو قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عايشة وعبد الله بن عمرو مثله
قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج
وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر

حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطى
الله اياه • وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله وعن
حذيفة فيما ذكر عليه السلم عن ربه واعطاني الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن
ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن
المسك وفيه ما يصلحهن • وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم •

فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح
الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبيا فما معنى الاحاديث الواردة
بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي قال السمرقندي نا الفارسي نا الجلودي
نا ابن سفين نا مسلم نا ابن مثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية
يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى • وفي غير هذا الطريق عن
ابي هريرة قال يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث • وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي
قال والذي اصطفى موسى عليه السلم على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول
ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا تفضلوا بين الانبيا • وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث
وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال
انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من

يونس بن متى • وفي حديثه الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابرهيم
فاعلم ان للعلما في هذه الاحاديث تاويلات **احدها** ان نهيه عن
التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف
وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اعلم ان احدا افضل منه لا يقتضي
تفضيله وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل **الوجه الثاني** انه قاله صلى
الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض
الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا
سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا
يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه فظن ان
لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك **الوجه الرابع**
منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي
شيء واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات
والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور
اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا عزم من الرسل ومنهم من رفع
مكانا عليا • ومن اوتي الحكم صبيا • واوتي بعضهم الزبر • وبعضهم البينات
ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات • قال الله تعالى ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض الاية • قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا



في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون
امته ازكى واكثر او تكون في ذاته افضل واطهر وفضله في ذاته راجع الى ما
خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من
الطافه وتحف ولايته واختصاصه ● وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ النبي صلى الله عليه
وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح
في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم
على امته ● وقد يتوجه على الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى
القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه
خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك
الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا
بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض

فصل

في اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته

حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر
ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن
مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد

وانا احمد ● وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ● وانا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي ● وانا العاقب ● وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد ● فمن
خصائصه تعالى له انه ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره
فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ● ومحمد مفعل مبالغة من كثرة
الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد
المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في
تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه
الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام
ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد
ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن اخر ● هو
ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه ● اما احمد الذي اتى في الكتب
وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به
مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم
به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث
اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله
اعلم حيث يجعل رسالاته ● وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ● ومحمد بن
مسلمة الانصاري ● ومحمد بن البراء البكري ● ومحمد بن سفيان بن مجاشع ● ومحمد بن

الجعفي

جمران الجعفي ● ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ● ويقال اول من سمي محمدا محمد بن سفيان
[حاشية: ومحمد بن مجاشع اده صح]
واليمن يقول بل محمد بن اليحمد من الازد ● ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة
او يدعيها له احد او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له
[حاشية: سبب صح]
صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما ● واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله
بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي
له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة
كما قال تعالى ليظهره على الدين كله ● وقوله انا الحاشر الذي يحشر الناس على
قدمي اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين ● وسمي عاقبا
لانه عقب غيره من الانبياء ● وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي
كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ●
[حاشية: وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي صح]
[حاشية: وقيل على قدمي على سابقتي قال تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي اي قدامي وحولي اي يجتمعون الي في القيامة وقيل قدمي على سنتي صح]
ومعنى قوله لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم
من الامم السالفة والله اعلم ● وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسما وذكر
منها طه ويس حكاه مكي ● وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي
وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسما ●
فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ● ورسول الراحة
ورسول الملاحم ● وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم ● والقيم الجامع
الكامل كذا وجدته ولم اروه واري ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن

الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام
اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه ● وروى
النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة اسما ● محمد ● واحمد ● ويس ● وطه ●
والمدثر والمزمل ● وعبد الله ● وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه
السلام يسمي لنا نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي
[حاشية: اي المتبع للنبيين صح]
الملحمة ويروى المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله ● ومعنى المقفي معنى العاقب ● واما
نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى ● وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ●
وبالمومنين رؤف رحيم ● وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى
فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا ● فبعثه عليه السلام
ربه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ● ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل
امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال
ان الله يحب من عباده الرحماء ● وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ● ارحموا من
في الارض يرحمكم من في السماء ● واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من
القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة ● وروى حذيفة مثل حديث ابي
موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم ● وروى الحربي في حديثه
عنه عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم

الجامع للخير • وهذا الاسم هو في اهل بيته عليه السلم • وقد جاءت من القابه عليه السلم وسماته في القران عدد كثير سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين • ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى • وابي القسم • والحبيب • ورسول رب العالمين • والشفيع المشفع • والمتقي والمصلح والطاهر • والمهيمن • والصادق • والمصدوق • والهادي • وسيد ولد ادم • وسيد المرسلين • وامام المتقين • وقائد الغر المحجلين • وحبيب الله • وخليل الرحمن • وصاحب الحوض المورود • والشفاعة والمقام المحمود • وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة • وصاحب التاج والمعراج • واللواء والقضيب • وراكب البراق • والناقة • والنجيب • وصاحب الحجة والسلطان • والخاتم • والعلامة والبرهان • وصاحب الهراوة والنعلين **ومن اسمائه** في الكتب المتوكل • والمختار • ومقيم السنة • والمقدس • وروح الحق • وهو معنى البارقليط في الانجيل • وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل • ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذماذ • ومعناه طيب طيب • وحمطايا



والخاتم والحاتم • حكاه كعب الاحبار • قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبيا والحاتم احسن الانبيا خلقا وخلقا • ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق وكان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الان عند الخلفا **واما** الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن **واما** التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه وصفاته وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله

فصل

في تشريف الله له بما سماه به من اسمائه الحسنى •

ووصفه به من صفاته العلى **قال** القاضي ابو الفضل رحمه الله ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله • فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل بعليم حليم • وابرهيم بحليم • ونوحا

بشكور ۝ وعيسى ويحيى ببر ۝ وموسى بكريم وقوي ۝ ويوسف بحفيظ عليم
وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز في مواضع
وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى
ألسنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار
الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين ۝
وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الا ما علم
منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه ۝ فمن
اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم
محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر
من حمد واجل من حمده ۝ وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله ؞
۝ وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ۝
ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه
بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى
الحق الموجود والمتحقق امره ۝ وكذلك المبين اي البين امره والهيته بان وابان
بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين ۝ وقال

وقل اني انا النذير المبين ۝ وقال قد جاءكم الحق من ربكم ۝ وقال فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله
ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور
ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب ب
المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
قيل محمد وقيل القرآن ۝ وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره
وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى وقيل
الشهيد ومعناه العالم الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا
وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا قال ويكون الرسول عليكم شهيدا
وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل
وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه
الله تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم ۝ قيل محمد وقيل جبريل ۝ وقال
عليه السلام انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ۝
ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه ۝ وقال
في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ۝ ووقع في اول سفر من التوراة
عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ۝ ؞

ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشأن
وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها
الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في
حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه
او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القران جبرية التكبر
التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه
المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن
فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلا المامور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه
وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي
والمسؤول الله والنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم
بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به
ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق
والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون
ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد
جاءكم النصر وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه عليه السلام
بالفاتح في حديث الاسرا الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره
عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول
النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري

وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على
امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدي
بهداية الامة او المبتدأ المقدم في الانبيا والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت
اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه
نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك
مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه
صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم   السابق م
ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشيا
قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال
عليه السلام كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم
وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون
السابقون وقوله انا اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة

واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد
وصفه الله تعالى بذلك فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل
ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه
بالصادق والمصدوق ومن اسمائه تعالى الولى والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلم انا ولى كل مؤمن
وقال الله تعالى النبى اولى بالمؤمنين وقال عليه السلم من كنت مولاه فعلى مولا
ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه في
القران والتورية وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح
وقال له جبريل وقد ساله عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك
وقال في التورية والانجيل في هذا الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا
غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادى وهو بمعنى توفيق الله لمن
اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلا
ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم
وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقال
تعالى له وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدى من

احببت ولكن الله يهدى من يشاء وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ٥
ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى
المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله
وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل
الموحد نفسه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء
وقد قيل ان قولهم في الدعا امين انه اسم من اسما الله تعالى ومعناه معنى المؤمن
وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن
ومؤمن وسماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلم
يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس مهيمنا في
شعره في قوله ٥

ثم اعتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبى والامام ابو القاسم القشيرى ٥
وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اى يصدق وقال انا امنة لاصحابى
فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن
النقائص المطهر من سمات الحدث وسمى بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الوادى المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبيا في اسمائه عليه وعليهم السلام
المقدس اى المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر

واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ○ ومعناه القادر • وقد
وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين ○ قيل محمد وقيل جبريل
ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه
بالصادق والمصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولي كل مومن
وقال الله تعالى النبي اولى بالمومنين ○ وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه
ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح • وقد وصف الله بهذا انبيه في
القران والتورية وامره بالعفو فقال خذ العفو ○ وقال فاعف عنهم واصفح
وقال له جبريل وقد ساله عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك •
وقال في التورية والانجيل في هذا الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا
غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن
اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء ○ قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام
ويهدي من يشا الى صراط مستقيم • واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم ○
وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال
تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم ○ وقال فيه وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا ○ فالله تعالى مختص بالمعنى الاول • قال تعالى انك لا تهدي من

احببت ولكن الله يهدي من يشا ○ وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ٥
ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن • وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه تعالى
المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المومنين ورسله ○
وقيل المومن عباده في الدنيا من ظلمه والمومنين في الاخرة من عذابه • وقيل
الموحد نفسه ○ وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء
وقد قيل ان قولهم في الدعا امين انه اسم من اسما الله تعالى • ومعناه معنى المومن
وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ○
ومومن ○ وسماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين • وكان عليه السلام
يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها ○ وسماه العباس مهيمنا في
شعره ○ في قوله ٥

ثم اعتدى بيتك المهيمن ○ من خندف علياء تحتها النطق •

قيل المراد يا ايها المهيمن ○ قاله القتبي والامام ابو القسم القشيري ٥ •
وقال تعالى يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي •
فهذا بمعنى المومن ومن اسمائه تعالى القدوس ○ ومعناه المنزه عن
النقايص المطهر من سمات الحدث • وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ○
ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبيا في اسمائه عليه وعليهم السلام
المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر

أو الذي يطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم ○ **وقال**
ويخرجهم من الظلمات إلى النور أو يكون مقدسا يعني مطهرا من الأخلاق الذميمة والأوصاف
الدنية **ومن أسمائه تعالى** العزيز ومعناه الممتنع الغالب أو الذي لا نظير له
أو المعز لغيره ○ وقال تعالى ولله العزة ولرسوله أي الامتناع وجلالة القدر
وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه
منه ورضوان ● وقال إن الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه ○ وسماه تعالى مبشرا
ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته **ومن أسمائه تعالى**
فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء
محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وها أنا أذكر نكتة أذيل بها هذا
الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف
الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه
وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه
وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وأن ما جاء مما أطلقه الشرع
على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف
صفات المخلوق فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشابه صفات
المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك

بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء ○ ولله در من قال
من العلماء العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة
من الصفات ○ وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهو مقصودنا فقال
ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة
موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة كما استحال
أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة
وقد فسر الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال
هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات
وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو
دفع نقص حصل ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر ● وفعل
الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه ● وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه
بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم **وقال** الإمام أبو المعالي
الجويني من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي
المحض فهو معطل وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد
وما أحسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء
بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في
وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق ○ والفصل الآخر تفسير

لقوله ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث
تفسير لقوله إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ۝ ثبتنا الله وإياك على
التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل
والتشبيه بمنه ورحمته ۝

باب الرابع

الفصل الرابع

فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات ۝ وشرفه به من الخصائص والكرامات

حدثنا القاضي أبو الفضل حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر
نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها
حتى لا يتوصل الطاعن إليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من
أبطل نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا
في محبتهم له ومنماة لأعمالهم وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ۝ ونيتنا أن نثبت في هذا
الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق
والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير
كتب الأئمة وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة
علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم
يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به

فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام قال
لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت
أن وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي أبو الشهيد أبو علي رحمه الله نا أبو الحسين
الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن
الترمذي نا محمد بن بشار نا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد
عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أبي أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث
وعن أبي رمثة التيمي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته فلما رأيته
قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد
عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا
مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر
هات يدك أبايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فأخبر
أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال
بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا
ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر
ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا ۝ وفي حديث الجلندى

ما لِلعُمانِ لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال
الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يأمر بخير الا كان اول آخذ به
ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه يَغلب فلا يبطر ويُغلب فلا يضجر ويفي
بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي ۝ وقال نفطويه في قوله تعالى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه
وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا
كما قال ـــــ ابن رواحة ۝
لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزات القرآن
وما فيه من برهان ودلالة ۝

فصل

اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته
واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته
في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا ۝ وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة
اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا
من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم
وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله تعالى

صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل
فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله ۝
والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل
تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى
مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل
ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة
شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان ۝
واما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله
امر الله بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ۝ ومنه قولهم جاء الناس
ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكأنه الزم تكرير التبليغ او الزم الامة اتباعه
واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من
الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
فقد اثبت لهما معا الارسال قال ۝ ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا
وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام
بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة
للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين
الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما



ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء
بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح
والذي عليه الجماء الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل
آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر عنه عليه السلم ان الانبيا
مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر اولهم
آدم وآخرهم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي
ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما
الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا
وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة
حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى
فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم
الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفا ومنه سمي الالهام
وحيا ومنه قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون
في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في
قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي بما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل

اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبيا معجزة
هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة

البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت
وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن
قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصى حية واخراج
ناقة من صخرة وكلام شجر ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان
يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه
ان ياتي بمثله تعجيزا له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا
صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو
اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا
يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا
الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها
قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات
منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى
عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها
علم قطعا ونقل الينا متواترا فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي وظهوره من قبله
واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا
وانما جا اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز
معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه

قال بعض ائمتنا ويجرى هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلم
ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية
في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب
وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وان
ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا عليه السلم
ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف
لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا
وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته

القسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع
مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير
والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام • ونوع منه اختص به الواحد
والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى
غيره اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي
ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة عنه
عليه السلم معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن
وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق
كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع

يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء
سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير
عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة رضي الله عنهم • ومنها ما رواه الكافة
عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن
اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك
وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة
للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم
كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس
هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف
لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف
القران وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله
يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه • وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها
وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف
الطارئة واعلام نبينا هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان
الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة

وتعليلاً • وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوماً من إتيانه على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه ○ وقد قال به من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهما الله وما عندي أوجب قول القائل إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعة الأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف وإلا من اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلاً عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلوة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار بالمسح على بعض الرأس ○ وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح • وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلاً عن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بياناً إن شاء الله

فصل في إعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه ○ أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله ذلك لهم طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوصلون ويتوسلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآلي فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملاً منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحاً لبلوغ أسبابها فقالوا في

الخطر والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه وهم افصح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتفاضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملاء اجمعين ۝ ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين • وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا ۝ وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن الاية • وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات • وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ۝ ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم



آلهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغترار بالافترا وقولهم ان هذا الا سحر يوثر وسحر مستمر وافك افتراه • واساطير الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف ۝ وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب • ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ۝ والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا • وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا لم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ۝ ولهذا لما سمع الوليد ابن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر • وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تومر فسجد وقال سجدت لفصاحته • وسمع اخر رجلا يقرا فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام

وحكي ان عمر بن الخطاب كان يوما نايما في المسجد فاذا هو بقايم على راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلم انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها

وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع
فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهى قوله ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه الاية **وحكى** الاصمعى انه سمع كلام جارية فقال
لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او بعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع فى اية واحدة بين امرين ونهيين
وخبرين وبشارتين • فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى
غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القران من قبل النبى صلى الله عليه وسلم
وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلم متحديا به معلوم ضرورة وعجز
العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه فى فصاحته خارقا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك
بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت
اذا تاملت قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وقوله ولو ترى اذ فزعوا
فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك
وبينه عداوة كانه ولى حميم ۝ وقوله وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى الاية
وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية • واشباهها من الاى
بل اكثر القران حققت ما تضمنه من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة
عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة

وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت
المقالات فى المستنبطات عنها ثم هو فى سرد القصص الطوال واخبار القرون
السوالف التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية
لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه
كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة
ترددها حتى تكاد كل واحدة منها تنسى فى البيان صاحبتها وتناصف فى الحسن
وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس عن ترديدها ولا معاداة لمعادها ∴

فصل الوجه الثانى من اعجازه ۝ صورة نظمه العجيب

والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى
جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا
بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شىء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه
احلامهم ولم يهتدوا الى مثله فى جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز
او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران
رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار منى والله ما
يشبه الذى يقول شيئا من هذا • وفى خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور
الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا
فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه

قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال
ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما
نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه
ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته
فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني
ومن خلقت وحيدا الآيات ۞ وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد
علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما
سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالكهانة • وقال النضر بن الحارث نحوه
وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر
من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى
مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال
يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق
وانهم لكاذبون ۞ والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز كل واحد من النوعين
الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز
على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها

مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب
بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك
بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله
ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب
وجوه
هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه • وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم
عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه
وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب
الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى
وذهب ۞ الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر
ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه
وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة
عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع
وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة
البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال
بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ
الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا
والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع

العدد والخصام الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدرة في المعرفة به لجميع
الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء
نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم
مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا
وانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه

فصل الوجه الثالث

من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد
كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر ۞ كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
امنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على
الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية وقوله اذا جاء نصر الله
الى اخرها ۞ وكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين •
ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع
لم يدخله الاسلام • واستخلف المومنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم
اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب ۞ كما قال عليه السلام زويت لي الارض
فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون • فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل
محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم

نيفا على خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه
ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ۞ ومنه قوله
سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية
وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك ومن كشف اسرار المنافقين واليهود
ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك ۞ كقوله ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
الاية وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله من
الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين • وقد قال مبديا
ما قدره الله واعتقده المومنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها
لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ۞ ومنه قوله انا كفيناك
المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله
كفاه اياهم وكان المستهزءون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويوذونه
فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس ۞ فكان كذلك على كثرة من رام
ضره وقصد قتله • والاخبار بذلك صحيحة معروفة

فصل الوجه الرابع

ما انباه به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة
والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل

الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي
به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه
صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم تغب عنهم
ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه عن هذا فينزل عليه القران
ما يتلوا عليهم منه ذكرا كقصص الانبيا مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته
واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبا وبدء الخلق
وما في التورية والانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقي
معاند ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم
على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة
سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات
سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي
القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم
عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم **وقوله**
ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها
القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم
صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن

صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعا ان فيما عندهم
من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له قل فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير
ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يوثر عن واحد
منهم اظهار خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا
عن كثير الايتين

فصل

هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا
نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت
بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك
كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحق
الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم
فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمناه واحد منهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه
فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم
يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهر
بذلك معجزته وبانت حجته **قال** ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم
جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود

مشاهد لمن اراد ان يتحقه به منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد
عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن
حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله
قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب
ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي تلحق قلوب
سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله
وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم
نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان
القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم ○ واما المؤمن فلا تزال روعته
به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه
وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
الى ذكر الله ● وقال لو انزلنا هذا القران على جبل الاية ويدل على ان هذا شيء
خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه
مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم ○ وهذه الروعة
قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها اول وهلة وامن به

ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون
الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير ● وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في
قلبي **وعن** عتبة بن ربيعة انه كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من
خلاف قومه فتلا عليه حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ●
فامسك عتبة بيده على في رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف
وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرا وعتبة مصغ له ملق يديه خلف
ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وقام عتبة
لا يدري بما يراجعه ورجع الى قومه ولم يخرج الى قومه حتى اتوه واعتذر لهم
وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت
ما اقول له **وقد حكي** عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة
وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر
بصبي يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا
لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته ○ وكان يحيى بن حكم
الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على
التوبة والانابة **فصل** ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه

آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون • وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ۝ وسائر معجزات
الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته
الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة
لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار كلها طافحة
بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة
والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته
ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في
ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيده والنكوص على
عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه
وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده
حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في
الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به
في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك
حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على
قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على
كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه

العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته
أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم
تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا
القيام بها فلا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه
من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين العقلية
قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا
أدلة مثلها فلم يقدروا عليها ۝ كقوله أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على
أن يخلق مثلهم • وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار
الآخرة ومحاسن الآداب والشيم ۝ قال الله جل اسمه ما فرطنا في
الكتاب من شيء • ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل ۝ وقال عليه السلام إن الله أنزل هذا القرآن
آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم
ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق
ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به
أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى
من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله • وهو الذكر الحكيم • والنور المبين ۝



والصراط المستقيم ۝ وحبل الله المتين ۝ والشفا النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة
لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجايبه ۝ ولا يخلق على كثرة
الرد ۝ ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبا الاولين والاخرين
وفي الحديث قال الله لمحمد عليه السلام اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا
عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن
كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة ۝ وقال تعالى ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ۝ وقال هذا بيان للناس وهدى
الاية فجمع فيه مع وجازة الالفاظ وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها
على الضعف منه مرات **ومنها** جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج القران
بنظمه وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثنا هذه البلاغة امره ونهيه ووعده
ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل
على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى في الافهام فالناس اليه اميل
والاهوا اليه اسرع **ومنها** تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وساير الامم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف الجما على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب
مدة **ومنها** ۝ مشاكلة بعض اجزايه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتيام اقسامها

وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام
السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد
وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوايده دون خلل يتخلل فصوله والكلام
الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت
الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك
القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع
ملايهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم
بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء
مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم
ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبيا كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام
ومنها الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا
انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الايمة لم نذكرها اكثرها داخل في
باب بلاغته فلا يجب ان نعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون
البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفواضله وفضايله
لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها
من خواص القران وعجايبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق

فصل
في انشقاق القمر وحبس الشمس ۝

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته
واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه **اخبرنا** الحسين بن محمد الحافظ من كتابه
ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا
مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود
قال انشق القمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا • وفي رواية مجاهد ونحن مع
النبي صلى الله عليه وسلم ۝ وفي بعض طرق الاعمش بمنى • ورواه ايضا عن ابن مسعود
الاسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة
وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال ۝ رجل منهم ان محمدا ان كان سحر
القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر
هل رأوا هذا فسألوا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك **وحكى** السمرقندي عن
الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا
ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر
ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الاربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن وعلي
مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وجبير بن
مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه

وسلم **وعن** انس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم
انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما • رواه عن انس قتادة ۝ وفي رواية
معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة
وانشق القمر • ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ۝ ورواه
عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة • ورواه عن ابن عمر مجاهد ۝ ورواه عن
حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحا ديث
صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على
اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه
تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب
لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على
قوم قبل ان يطلع على آخرين • وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض
البلاد دون بعض ۝ وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا
المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم • وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس
بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور
السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري في كثير من
البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها

من انوار و نجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السما واكثر الناس لا علم عنده
منها ○ وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسما بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها غربت
ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهبا في خيبر
قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن
صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من
علامات النبوة • وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحق
لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في
العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون
وقد ولى النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار
ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الما من بين اصابعه

وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم • اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى
حديث نبع الما من بين اصابعه جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود
حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراتي عليه نا القاضي عيسى بن سهيل
نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو عمر بن الفخار نا ابو عيسى نا يحيى نا مالك عن اسحق

ابن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت
صلوة العصر فالتمس الناس الوضو فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضو
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الانا يده وامر الناس ان يتوضوا
منه قال فرايت الما ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضوا من عند اخرهم
ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ما يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم
قال زها الثلثمائة • وفي رواية عنه وهم بالزورا عند السوق ○ ورواه ايضا حميد
وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين • ونحوه عن
ثابت عنه ○ وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا • واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه
من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ما فقال
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ما فاتي بما فصبه في انا
ثم وضع كفه فيه فجعل الما ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ○ وفي
الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ما الا
ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه
كامثال العيون وفيه كم كنتم قال لو كنا ماية الف لكفانا كنا خمس عشرة ماية نقلت
وروى مثله عن انس عن جابر • وفيه انه كان بالحديبية ○ وفي رواية الوليد بن عبادة
ابن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله



ووقف

صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في
عزلا شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشي لا ادري ما هو وقال
ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت
الما يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر
الناس بالاستقا فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملاى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه
وسلم في بعض اسفاره اتي باداوة ما وقيل ما معنا يا رسول الله ما غيرها فسكبها في
ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الما وجعل الناس يجيون ويتوضون
ثم يقومون ° قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه
المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا
اسرع شي الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت
على باطل فهولا قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجما الغفير له ولم
ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم له

فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجر الما ببركته
وانبعاثه بمسه ودعوته مما روى مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة غزوة
تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشي من ما مثل الشراك فغرفوا من العين

بايديهم حتى اجتمع في شي ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه
واعاده فيها فجرت بما كثير فاستقى الناس ° قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الما
ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى
ما ههنا قد ملي جنانا ° وفي حديث البرا وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم
في قصة الحديبية وهم اربع عشرة ماية وبيرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها
فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال
البرا واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت
فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب
في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ما فروي
الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملوا كل انا
معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا ° وروى
مثله عمران بن حصين ° وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل
الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل موتة عندما بلغه
قتل الامرا وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم
وفيه اعلامهم انهم يفقدون الما في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء

لمناه وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها نبا
وذكر نحوه • ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما
يجدان امراة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها
الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول
ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤوا اسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئا الا ملؤوه قال عمران بن حصين ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر
فجمع للمراة من الازواد حتى ملا ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ شيئا ولكن الله
سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم
هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا
ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة • وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر
ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب
ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعا فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت
السما فانسكبت فملؤوا ما معهم من انية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن
شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت
وليس عندي ما فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بيده الارض فخرج الماء
فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير • ومنه الاجابة بدعا الاستسقا

فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعايه حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفين ثنا مسلم بن الحجاج ثنا
سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه
وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم
تكله لاكلتم منه ولقام بكم • ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه
عليه السلام ثمانين او سبعين من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه
فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول • وحديث جابر في اطعامه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال
جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي
وان عجيننا ليخبز • وكان صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك
رواه عن جابر سعيد بن مينا وايمن وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ادع ثلثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان
مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع
قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب
اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم

الكنفصل [illegible] الانصار وامر [illegible] وقال [illegible]
من [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

قوم ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي
سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين والمائة الا وقد حز له حزة من سواد
بطنها ثم جعل منها قصعتان فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي
هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجا الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم
الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس
باوعيتهم فما بقي في الجيش وعا الا ملوه وبقي منه وعن ابي هريرة امرني النبي
صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين
ايدينا صحفة فاكلنا ما شينا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام
فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب
وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما
سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر
جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون

وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم واحدا او اثنين وسبعين وامر عمر بن الخطاب
ان يزود اربع ماية راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب
فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين
الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه
قال اربع ماية راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته
وقد كان بذل لغرما ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف
دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها
فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرما ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة
وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرما يهود فعجبوا من ذلك وقال
ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شي
قلت نعم شي من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة
ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم
وشبعوا قال خذ ما جيت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر
مما جيت به فاكلت منه واطعمت منه حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك
التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية
في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة



حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه
وامره ان يدعوا اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه
شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت
اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى
الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب
وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح
فحمد الله وسمى وشرب الفضلة ⊙ وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي
صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما
عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد
ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره صاحب المحكم الدولابي
ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه
وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال
فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا
وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن
من غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت
امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا - لقيته

الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملئوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام
فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري
حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت ⊙ واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة
الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة • رواه عنهم
اضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع
مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكره

فصل

في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته

حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي
بكر بن المهندس عن ابي القسم البغوي ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي وكان
صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي
فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما
تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها • وعن
بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله

فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها

يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم
جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت
عروقها فاستوت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له • وفي
الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله
فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك
حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا • وفي رواية اخرى
فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما
(ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما)
فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة
ابن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا
لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال
هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة
مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى
اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن
يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن
وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من
هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا • وفي رواية اشاءتين وعن غيلان
ابن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في
غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى
منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم علي ••
وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة
قال مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه
الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول
او نحوه قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة
واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على
هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها
من القوة حيث هي • وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا

وهو وسن فاعترضته شجرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين
الى وقتنا وهى هناك معروفة معظمة • ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال
للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر النبي صلى الله
عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادى فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشى حتى قامت
بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها • وعن على نحو هذا ولم يذكر فيها
جبريل قال اللهم ارنى اية لا ابالى من كذبنى بعدها فدعى شجرة وذكر مثله • وحزنه
صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له • وذكر ابن اسحاق ان النبي
صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية فى شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين
يديه ثم قال ارجعى فرجعت • وعن الحسن انه عليه السلام شكا الى ربه من قومه وانهم
يخوفونه وساله اية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى اليه ان ائت وادى كذا فيه شجرة
فادع غصنا منها ياتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما
شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فقال يا رب علمت ان لا مخافة على • ونحوه عن
عمر وقال فيه ارنى اية لا ابالى من كذبنى بعدها وذكر نحوه • وعن ابن عباس انه
عليه السلام قال لاعرابى ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد انى
رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه
الترمذى وقال هذا حديث صحيح

فصل

فى قصة حنين الجذع • ويعضد هذه الاخبار حديث حنين الجذع وهو

نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم ابى بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله
ابن عباس وسهل بن سعد وابى سعيد الخدرى وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابى وداعة
كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذى وحديث انس صحيح • قال جابر
ابن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب
يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار • وفى
رواية انس حتى ارتج المسجد بخواره • وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به
وفى رواية المطلب وابى حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده عليه
زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد
غيره والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله
فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر هذا فى حديث المطلب
وسهل بن سعد واسحق عن انس وفى حديث ابى فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم
صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابى فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا
وذكر الاسفراينى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض
فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه • وفى حديث بريدة فقال يعنى النبي صلى الله عليه وسلم
ان شئت اردك الى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك • ويجدد
لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك فى الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له

النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله
وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت
ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد
الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق
أن تشتاقوا إلى لقائه • ورواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص
وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح • ورواه عن أنس
ابن مالك الحسن وثابت وإسحاق بن أبي طلحة • ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية • ورواه
أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس
ابن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي
عن أبيه قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه • خرجه
أهل الصحيح • ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره
ومن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب
فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد
ابن عيسى التميمي نا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط نا المهلب أبو القسم نا أبو الحسن القابسي
نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا محمد بن المثنى نا أبو أحمد الزبيري نا إسرائيل عن منصور
عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل • وفي غير هذه
الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع

تسبيحه • وقال أنس أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما
سبحن • وروى مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في يد عمر وعثمان • وقال علي كنا
بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل
إلا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام إني لأعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود وعن عائشة لما استقبلني جبريل
بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر
ابن عبد الله لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له • وفي حديث
العباس إذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر
من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين •
وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان
وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن أنس صعد النبي صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان
ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فإنما عليك
نبي أو صديق أو شهيد والخبر في حراء أيضا عن عثمان قال ومعه عشرة من الصحابة
أنا فيهم • وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين • وفي حديث سعيد
ابن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه • وقد روي أنه حين طلبته قريش قال

له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال له حرا الي
يا رسول الله **وروى** ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله
حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى
قلنا ليخرن عنه **وعن** ابن عباس كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل
بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير
بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه
صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم • وفي حديث ابن مسعود
وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ۞ ومن ذلك حديثه
مع الراهب في ابتدا امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج
وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين
يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق شجر
ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنى من القوم وجدهم سبقوه الى في الشجرة فلما جلس
مال الفي اليه

فصل في الايات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ نا ابي نا القاضي يونس نا
ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا ابو العلا احمد بن عمران نا
محمد بن فضيل نا يونس بن عمرو نا مجاهد عن عايشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم جا وذهب **وروى** عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جا اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله
فقال واللات والعزى لا امنت بك حتى يومن بك هذا الضب وطرحه بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه
القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي في السما
عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي
ومن ذلك قصة كلام الذيب المشهورة عن ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما عنّ
له عرض الذيب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذيب وقال للراعي الا تتقي الله
حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك
باعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانبا ما قد سبق فاتى الراعي النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق
والحديث فيه قصة وفي بعضه طول **وروى** حديث الذيب عن ابي هريرة ۞ وفي
بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذيب انت اعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا
لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على
اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى

ببيلة صح

قال الراعي من لها يعني قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه و مضى
وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها • وعن اهبان بن اوس
وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه
كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد • وقد روى
ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه
اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك
محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار ۞ فقال ابو سفيان واللات
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا ۞ وقد روي مثل هذا الخبر وانه جرى
لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده
الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام
ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت
جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وامن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم
قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل
شاة منها حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري
وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق

بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا
فجاء بعير فسجد له وذكر مثله • ومثله في الجمل عن ثعلبة بن ابي مالك وجابر بن عبد الله و يعلى
ابن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه
النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال
ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس • ومثله عن عبد الله
ابن ابي اوفى ۞ وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فاخبروه
انهم ارادوا ذبحه • وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة العمل
وقلة العلف ۞ وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق
العمل من صغره فقالوا نعم • وفي رواية في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه
وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم
لها انها لمحمد وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ۞ ذكره الاسفرايني
وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة
وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار
امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار ۞ وفي
حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له وراوا ذلك قالوا
لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم
فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات

خمس أو ست لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ. وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق. وذكر في منصرفه مثل ذلك. وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق. وأخذ عليه السلام بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد. وما روي عن إبراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم. وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات. وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه. وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء الثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع املكها وما أراك، فربطها فوجدها قد انطلقت. رواه ابن قانع وغيره. وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها. وقال لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلاة لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم. والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا من ذلك بالمشهور وما وقع في كتب الأئمة.

في بعض نسخها ح

فصل

في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة

ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ... صلى الله عليه وسلم لما وجه [illegible] نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل رجل منهم ... القوم الذين بعثهم إليهم ح

حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإذنا قالوا نا أبو علي الحافظ نا أبو عمر الحافظ نا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى نا أحمد بن سعيد نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت. وقد روى هذا الحديث أنس. وفيه قالت أردت قتلك فقال

ما كان الله ليسلطه على ذلك فقالوا الا نقتلها قال لا ۝ وكذلك روى عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ۝ ورواه ايضا جابر بن عبد الله ۝ وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها ۝ وفي الحديث الآخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالآن اوان قطعت ابهري **وحكى** ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة ۝ وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته ۝ وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر ۝ **وروى** الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا باسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا **قال** القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور ۝ واختلف اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجرة وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهذا مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعد



هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذا لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اوكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل التفسير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه انه لا ضرورة اليه في النظر والموفق الله **وروى** وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله **وروى** عن معرض بن معيقيب رايت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه ۝ وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب وكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة في حجة الوداع بمكة **وعن** الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي ۝ وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال له

ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردد عليهما قال لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا
لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني
على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم
وطعمنا • وروي عن عبد الله بن عبيد الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس
وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق
عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير
ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشاءين
والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله
النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر
ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا

فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات

اخبرنا ابو الحسين علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال نا ابو اسحق الحبال
نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق
نا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة احد بطولها قال وقالوا ان
سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول
ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت

يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانت احسن عينيه • وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد
ابن عياض بن عمر بن قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح ◦ وروى النسائي عن
عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ
ثم صل ركعتين ثم قال اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه
بك الى ربك ان يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره
وروي ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ
بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى انه قد هزئ به
فاتاه وهو على شفا فشربها فشفاه الله ◦ وذكر العقيلي عن حبيب ابن فديك
ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى
الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة
ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه فبرأ ◦ وتفل في شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم
خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ◦ ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم — زيد بن م
خيبر فبرئت • وفي رجل معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف
فبرئت ◦ وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئت في مكانه وما نزل عن
فرسه • واشتكى علي بن ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم

اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد • وقطع ابو جهل
يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجا يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصقها فلصقت • رواه ابن وهب ۝ ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم
بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح • واتته امراة من خثعم معها صبي به بلا
لا يتكلم فاتي بما فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به
فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جات امراة بابن لها
به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه وعقل عقلا يفضل عقول الناس
مثل الجرو الاسود فسعى وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه
ودعا له فبرى لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق
لها اثر • وسالته جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة
الحيا فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيا فيمنعه
فلما استقر في جوفها القي عليها من الحيا ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حيا منها •

فصل في اجابة دعايه صلى الله عليه وسلم

وهذا باب واسع جدا • واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما
دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة ۝ وقد جا في حديث حذيفة كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا
ابو محمد العتابي بقراتي عليه ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد
المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود ثنا حرمي ثنا شعبة عن
قتادة عن انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيما اتيته • ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد
ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة ۝ وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخا العيش
ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ۝
ومنه دعاوه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت
ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفوس حتى مجلت
فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت
احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا ۝ واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته
الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها
سبع مائة بعير وردت عليه تحمل من كل شي فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها
ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ۝ ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته
فما دعا على احد الا استجيب له • ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر
قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر ۝ واصاب الناس في بعض مغازيه
عطش فساله عمر الدعا فدعا فجات سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت • ودعا في

الاستسقا فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا • وقال للنابغة لا يفضض الله
فاك فما سقط له سن • وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن
نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا • ودعا لابن عباس اللهم
فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان القران • ودعا لعبد الله بن جعفر
بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه • ودعا للمقداد بالبركة فكانت
عنده غرائر من المال • ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال لقد كنت اقوم بالكناسة
فما ارجع حتى اربح اربعين الفا • وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب
ربح فيه • وروي مثل هذه لغرقدة ايضا • وندت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار ريح
حتى ردها عليه • ودعا لام ابي هريرة فاسلمت • ودعا لعلي ان يكفى الحر والقر فكان
يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء • ودعا لفاطمة ابنته الا
يجيعها قالت فما جعت بعد • وساله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له
فسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه وكان
يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور • ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش
فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم تبق له باقية
ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا • ودعا على صبي قطع عليه الصلاة ان
يقطع الله اثره فاقعد • وقال لرجل ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع
فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه • وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه

سنه ح

ولا يصيبه حر ولا برد

كلبا من كلابك فاكله الاسد • وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود
في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم
قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر • ودعا على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه
ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اي لا فراه فقال كذلك فلم يزل يختلج الى ان مات
ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات
فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة. والصد جانب الوادي • وجحده رجل بيع فرس
وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم
على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصبة برجلها
اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به

فصل

في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره صلى الله
عليه وسلم اخبرنا احمد بن محمد نا ابو ذر الهروي اجازة ح ونا القاضي ابو علي
سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا نا ابو الوليد القاضي نا
ابو ذر نا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم نا الفربري نا البخاري نا يزيد بن زريع نا
سعيد بن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف • وقال غيره بطا
فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى • ونخس جمل جابر وكان
قد اعيا فنشط حتى ما كان يملك زمامه • وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي

خفقها بمخفقة معه وبزل عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر
الفا • وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق
النصر ○ وفي الصحيح عن اسما بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها • وحدثنا
القاضي ابو علي عن شيخه ابي القسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى
الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الما للمرضى فيستشفون بها • واخذ جهجاه الغفاري
القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها
ومات قبل الحول ○ وسكب من فضل وضوءه في بير قبا فما نزفت بعد • وبصق
في بير كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها • ومر على ماء فسال عنه فقيل له
اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء
زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك ○ واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا
يبكيان عطشا فسكتا • وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا
فامرها النبي صلى الله عليه وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها
بنوها يسالونها الادم وليس عندهم شي فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها
حتى عصرتها ○ وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل •
ومن ذلك بركة يده فيما لمسه • وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلثماية ودية
يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده

الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم
وردها الى مكانها فاخذت ○ وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها • واعطاه مثل بيضة الدجاج
من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطا
هم
وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب
اولها وشربت آخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا
ظميت • واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشا في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال
انطلق به فانه سيضي لك بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك
فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل
بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ○ ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب
وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فصار في يده سيفا صارما طويل القامة
ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال
اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون • ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد
وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ○ ومنه بركته في درور الشياه
الحوامل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد • واعنز معاوية بن ثور ○ وشاة انس
وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل
وشاة المقداد • ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه

فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن
سلمة • ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب ۞ وروي
مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن
فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على ظهره
وبطنه • وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت
له غرة كغرة الفرس ۞ ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة
ورأسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود
فكان يدعى الأغر • وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر
فما زال على وجهه نور ۞ ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر اليه
وجهه كما ينظر في المرآة • ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان
حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع في كف على موضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ۞ ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة
من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها • ومسح على رأس صبي به
عاهة فبرأ واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا
واتاه رجل به أدرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ ۞ وعن طاوس
لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس الجنون
ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك ۞ واخذ قبضة من تراب

وروي مثله في خبر المهلب بن قبيصة
يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن
اعينهم • وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم
امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير

فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون • والاحاديث في هذا الباب
بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره ۞ وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع
الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب
حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر ثنا
ابو علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير
عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما
فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه ونسيه من نسيه — من حفظه
قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا
غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما
ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة
فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته ۞ وقال ابو ذر لقد تركنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر في السماء جناحيه الا ذكر لنا منه علما
وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه عليه السلام مما وعدهم به من الظهور
على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن

لمرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله وأن المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في
غد يومه • وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى
وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم
على ثلاث وسبعين فرقة الناجية واحدة وأنها ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في
حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما
تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وأنتم اليوم خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء
وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم
وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس
بعده ۝ وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده • وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر
الدهر ۝ وبذهاب الأمثل فالأمثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور
الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب ۝ وأنه زويت له الأرض
فأري مشارقها ومغاربها • وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها فكذلك كان
امتدت في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة
وراءه ۝ وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك
وقوله لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ۝ ذهب ابن المديني إلى
أنهم العرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب
وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه • وفي حديث آخر من رواية أبي أمامة لا تزال

طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك قيل
يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأخبر بملك بني أمية وولاية معاوية ووصاه
واتخاذ بني أمية مال الله دولا ۝ وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف
ما ملكوا • وخروج المهدي وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم • وقتل علي
وأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه أي لحيته من رأسه ۝ وأنه قسيم النار يدخل
أولياؤه الجنة وأعداؤه النار فكان ممن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن صلى الله عليه وسلم
ينسب إليه من الروافض كفروه • وقال يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وأن الله عسى
أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه ۝ وأنه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم
الله وهو السميع العليم • وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا ۝ وبمحاربة الزبير لعلي
وبنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه • وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما
كادت فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة ۝ وأن عمارا تقتله الفئة الباغية
فقتله أصحاب معاوية • وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل
لك من الناس • وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه
وقال في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار
فكان بعضهم يسأل عن بعض ۝ وكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى
بالنار فاحترق فيها • وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش
ما أقاموا الدين • وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار

وبأن مسيلمة يعقره الله • وأن فاطمة أول أهله لحوقاً به ◦ وأنذر بالردة وبأن
الخلافة بعده ثلاثون ثم تكون ملكاً فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي • وقال إن هذا تكون
الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكاً عضوضاً ثم يكون عتواً
وجبرية وفساداً في الأمة ◦ وأخبر بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلاة
عن وقتها • وسيكون في أمته ثلاثون كذاباً فيهم أربع نسوة ◦ وفي حديث آخر
ثلاثون دجالاً كذاباً آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله • وقال
يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ◦ ولا تقوم الساعة
حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان • وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا
يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ◦ وقال لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه
وقال هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش قال أبو هريرة راويه لو شئت
سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان • وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب
آخر هذه الأمة أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد
حتى لم يبق لهم جماعة ◦ وأنهم سيلقون بعده أثرة وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم
والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق • ويرى رعاء الغنم رؤوس الناس والعراة الحفاة
يتبارون في البنيان ◦ وأن تلد الأمة ربتها • وأن قريشاً والأحزاب لا يغزونه أبداً
وأنه هو يغزوهم ◦ وأخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى

البصرة وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة • وأن الدين لو كان منوطاً بالثريا
لناله رجال من أبناء فارس ◦ وهاجت ريح في غزاة فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا
إلى المدينة وجدوا ذلك • وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم
من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتداً يوم
اليمامة ◦ وأعلم بالذي غل خرزاً من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة
وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب إلى
أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله
عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصداً لقتله وأطلعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم • وأخبر بالمال الذي تركه عمه العباس
عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فأسلم ◦ وأعلم بأنه
سيقتل أبي بن خلف • وفي عتبة بن أبي لهب أنه يأكله كلب الله ◦ وعن مصارع
أهل بدر فكان كما قال • وقال في الحسن إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين
فئتين ◦ ولسعد • لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون •
وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وبموت النجاشي
يوم مات وهو بأرضه ◦ وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولاً من كسرى بموت كسرى
ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم • وأخبر أبا ذر بتطريده كما كان ووجده
في المسجد نائماً فقال له كيف بك إذا أخرجت منه قال أسكن المسجد الحرام قال فإذا

اخرجت منه الحديث وبعثته وحده وموته وحده • واخبر ان اسرع ازواجه به
لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة • واخبر بقتل الحسين بالطف
واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه • وقال في زيد بن صوحان تسبقه عضو منه
الى الجنة فقطعت يده في الجهاد • وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما
عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد •
وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما
اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة • وقال تبنى مدينة
بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد
وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون
لقومه • وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة • وقال
لعمر في سهيل بن عمرو • وعسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة
مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم
وقوى بصائرهم • وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجد
هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم
وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان
كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء
واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف

والهداه

طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا
باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها
ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال • ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه
في خبر الاسرا ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم
بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد
ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب
خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية • ومن اشراط الساعة وآيات
حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة
وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا
اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة •

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس

وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس • وقال تعالى
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا • وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف عبده
محمدا اعداءه المشركين • وقيل غير هذا • وقال انا كفيناك المستهزئين الذين
يجعلون مع الله الها آخر • وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية اخبرنا
القاضي الشهيد ابو علي الصدفي قراءة عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله
المعافري قالا نا ابو الحسين الصيرفي قال نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي نا ابو العباس

بن



المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد عن سعيد
الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال
لهم يا ايها الناس انصرفوا عني فقد عصمني ربي عز وجل ۝ وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم
قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة
حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحرث
صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم
من عند خير الناس ۝ وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد
من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله ۝ وقد روي انه وقع له
مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع
الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك
فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه
ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية ۝ وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحرث المحاربي
اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه منتضيا
سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر

سيفه من يده والزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا ۝ وذكر ان فيه
نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية ۝ وقيل كان النبي
صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا اهيل ۝ وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها
نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله به مع زوجها من الذم اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما
وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت
يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ۝
وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا
صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته
ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة فحالت
بيننا وبينه ۝ وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى
لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات
اسلام عمر ۝ ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش
واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على

ووقف الى نشاذالى الانوار محمد ال داس يلعه الله المراد

ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم • وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ
الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل
الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت
حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام • وقصته
مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر
به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي عليه السلم فساخت قوائم فرسه
فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي عليه السلم
وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال لا تحزن ان الله
معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر
واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف
يقول للناس كفيتم ما ههنا • وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي
فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم • وفي خبر آخر ان راعيا عرف
خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي
ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد
وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع
القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش

واخبر وهم يسطو بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره • ومن
ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم

فصل

ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع ع
على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده
ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية
من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله
فيهم وصفات اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمدد اعمارهم وحكم حكمائهم
ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها
ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب
الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني
اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة
لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه
ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن
مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر
من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون اقامة برهان عليه

ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان بهم انفسهم واعراضهم واموالهم
من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى الاحتوا على ضروب العلوم وفنون
المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ
اهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلم
الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر • وقوله الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها
الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان • وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن
تكذب • وقوله اصل كل داء البردة • وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله
المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديث لا نصححه لضعفه وكونه
موضوعا تكلم عليه الدارقطني • وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة
يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين • وفي العود الهندي سبعة اشفية
وقوله ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس • وقوله وقد سئل عن سبأ ارجل هو ام امرأة ام ارض
فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك
جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله
عما اختلفوا فيه من ذلك • وقوله حمير راس العرب ونابها • ومذحج هامتها

وخير الحجامة

من الولد



وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها • وقوله ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض • وقوله في الحوض زواياه سواء •
وقوله في حديث الذكر ان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف
وخمسمائة في الميزان • وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا • وقوله ما بين المشرق
والمغرب قبلة • وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك • وقوله لكاتبه
ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب
ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها
كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم • رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس • وقوله
في الحديث الآخر الذي روي عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلم فقال •
الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد
الرحمن وجود الرحيم • وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلم كتب فلا يبعد ان
يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة • واما علمه عليه السلم بلغات العرب وحفظه
معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب • وكذلك حفظه
لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية • وقوله
في حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك

وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بلغتهم

مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب
ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرا ولا عرف بصحبة من
هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل
بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية
انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوايلها والشعر والبيان وانما
حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا
الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا
وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين • وانما يعلمه بشر
فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين • ثم
ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان واما العبد الرومي
وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القران وظهور ما لا ينعد من الآيات
واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه
وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان
وهم الفصحا اللد والخطبا اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله
بل عن فهم صورته وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم قد كان سلمان

او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم
يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجي به محمد صلى الله
عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينيذ على
كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ عنه ايضا ما
يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به
من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته
الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه
على عادة ابنايهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه
مدة يحتمل تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه
وعشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر
او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجي ما اتى به في معجز القران
قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر

فصل

ومن خصايصه عليه السلم وكراماته وباهر اياته انباؤه مع الملايكة
والجن وامداد الله له بالملايكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم ••
قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو موليه وجبريل الآية • وقال اذ يوحي ربك

الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم انى ممدكم الايتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران
حدثنا سفين بن العاصي الفقيه سماعا عليه نا ابو الليث السمرقندي قال نا عبد الغافر
الفارسي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفين نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا ابي نا
شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات
ربه الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل
واسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهد من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة
الاسرا مشهور وقد راهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة وراى ابن
عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية وراى سعد على يمينه
ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد
وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الرؤس من الكفار
ولا يرون الضارب وراى ابو سفين بن الحارث يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق
بين السماء والارض ما يقوم لها شي وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين
واراى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه وراى عبد الله بن مسعود
الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير

لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد
من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
اذ اقبل شيخ معه عصى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال
نغمة الجن من انت فقال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده
في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القران وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها
بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه السلام
ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت
ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد الاية فرده الله خاسئا وهذا باب
واسع

فصل ومن دلائل نبوته

وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل
الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه
وما وجد من ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة
وكعب بن لؤي وسفين بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن
وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل

وعسكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما
ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنها ثقات من أسلم منهم
مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود
وبحيرا ونسطور وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان
والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى
وقد اعترف بذلك هرقل • وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس
صاحب مصر • والشيخ صاحبه وابن صوريا • وابن أخطب وأخوه • وكعب بن
أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء
على الشقاء • والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع يهود والنصارى
بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه • واحتج عليهم بما انطوت عليه
من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم
المباهلة على الكاذب فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم
إظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال
وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم
صادقين إلى ما أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح • وسواد بن
قارب وخنافر وأفعى نجران وجذل بن جذل الكندي • وابن خلصة الدوسي
وسعد بن بنت كريز • وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة إلى ما ظهر على ألسنة

الأصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب
وأجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة
مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب
ذلك معلوم مذكور

فصل

ومن ذلك ما ظهر من الآيات
عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عندما
وضعته شاخصا ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته
وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته
حتى ما تنظر إلا النور وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام
على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء له ما بين المشرق والمغرب
حتى نظرت إلى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته
ودرور لبنها ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى
من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية
وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله
وهو صغير شبعوا ورووا فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد
أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا • ومن ذلك
حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه
من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى

في صغره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه
الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال
انى نهيت عن التعرى ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية ان
خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها
فاخبره انه راى ذلك منذ خرج معه في سفره ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره
قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت
وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الاخر حتى اظلته
وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا
يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه
بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة
من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته
وتشريفه وصلوة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك
الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله ونداءهم الذي سمعوه الا تنزعوا القميص عنه
عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على
اصحابه من كراماته وبركته في حيوته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد
بذريته

فصل

قال القاضي ابو الفضل قد اتينا في هذا
الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية
والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض
وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره
الائمة مشاهيره وحذفنا الاسانيد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو
تقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
اظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند
نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول
هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله واما كونها كثيرة
فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك
الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد
اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا
لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق
يطول بسطه فاذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة
ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القران على نسبة
عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه
قد تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب
فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه

معجز مضاعف العدد كرة اخرى • ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف
هذا في حق القرآن فلا تكاد تأخذ العدة معجزاته ولا تحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث
الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلم في هذه الابواب وعما دل على امره
مما اشرنا الى جمله تبلغ نحوا من هذا ○ الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله
عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي
سمى فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه
ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل
سحرهم • وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم
امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص
دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء ○ ثم ان الله تعالى بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر
والكهانة فانزل عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز
والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا
في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن
والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة
ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا
ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة

وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه
على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الفصول
الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل امة يأتي لا
تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه
السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد
طمأنينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات
الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلم بقوله فيما حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم
قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله
امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم
تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى
وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا الى معنى اخر
من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان
غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء

كالقا السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يحيله الساحر او يتخيل فيه والقران كلام
ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه اظهر عندهم من غيره من المعجزات
كما ان ليس لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل
الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الحق عليه ويعفي وجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل
السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان
الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب
الاتيان بما هو في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء
والسبا والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتوبيخ والتعجيز والتهديد والتقريع
والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شي
هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا
عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه
قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك
الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام
من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدم
مقدرتهم الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي ايتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع
عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر اية

واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلما وجه ظهور اينه على ساير
ايات الانبيا حتى احتاج للعذر عن ذلك برقة افهام العرب وذكا البابها ووفور
عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاهم ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من
من القبط وبني اسرايل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل
بعد ايمانهم وعبدوا المسيح بعد اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم فجاتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم ما لا
يشكون فيه ومع ذلك فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن
والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف
بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من امن بالله وحده من
قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفا لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله
فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا
كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا
اباهم وابناهم في نصرته واتي في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج
لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين

القسم الثاني

من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له و
حكى الله عن الكفار فى دركات جهنم يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمنى ○ وقال عليه السلام
اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم • وفى
حديث ابى هريرة عنه عليه السلام كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن
يابى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى ○ وفى الحديث الاخر الصحيح عنه
عليه السلام مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم انى
رايت الجيش بعينى وانى انا النذير العريان • فالنجاء فاطاعه طايفة من قومه
فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من
عصانى وكذب ما جئت به من الحق ○ وفى الحديث الاخر فى مثله كمثل من بنى دارا
وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المأدبة فالدار
الجنة والداعى محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد
فرق بين الناس

فصل

واما وجوب اتباعه وامتثال سنته
والاقتدا بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر
لكم ذنوبكم ○ وقال فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون • وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى

فادلجوا



يحكموك الى قوله تسليما اى ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد
وقال لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله الاية •
قال محمد بن على الترمذى الاسوة فى الرسول الاقتدا به والاتباع لسنته
وترك مخالفته فى قول او فعل ○ وقال غير واحد من المفسرين بمعناه
وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه • وقال سهل فى قوله تعالى صراط الذين
انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتدا باتباعه
لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى
صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى فى الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه
على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم
بحكمه وترك الاعتراض عليه **وروى** عن الحسن ان قوما قالوا يا رسول الله
انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية **وروى** ان الاية
نزلت فى كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله
فانزل الله الاية **وقال** الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله اى تقصدون طاعته
فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا
ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ○ ويقال
الحب من الله عصمة وتوفيق ○ ومن العباد طاعة ○
كما قال القائل

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة الله للعبد تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له
وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان
يعني الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد
غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه نا ابو الاصبغ
عيسى بن سهل ونا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه قرأتي عليه قالا نا حاتم بن
محمد نا ابو حفص الجهني نا ابو بكر الآجري نا ابرهيم بن موسى الجوزي نا داود بن رشيد
نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي
وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث
جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلم لا الفين
احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال
ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية

وروى عنه عليه السلم انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي
خسر الدنيا والآخرة امرت امتي ان يأخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي
فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه الآية وقال عليه السلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى
هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله
عليه وسلم العلم ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة
عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلم عمل قليل في سنة خير من
عمل كثير في بدعة وقال عليه السلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك
بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند
فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلم ان بني اسرائيل افترقوا على
اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلث وسبعين ملة كلها في النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس
قال عليه السلم من احيى سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن
عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من احيى سنة من سنتي
قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا

ان م

ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيئا **فصل** واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع
سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن
تليد الفقيه سماعا عليه قال نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ
ووهب بن ميسرة قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن رجل
من آل خالد بن أسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة
الخوف وصلوة الحضر في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي
ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل ● وقال عمر بن عبد العزيز
سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب
الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا
النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا ●
وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة ● وقال
ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة ● وكتب
عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم
يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله ● وفي خبره
حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصنع

وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن
ادع سنة رسول الله لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى
الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت ● وكان
ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة ● وقال
ابن عمر صلوة السفر ركعتان من خالف السنة كفر ● وقال ابي بن كعب عليكم
بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت
عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس
ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل الله وسنة خير
من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا
او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسننهم ● وكتب بعض عمال عمر بن
عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على
البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة
فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله فان تنازعتم في شيء
فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسول الله ● وقال الشافعي
ليس في سنة رسول الله الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر

لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك
ثم قبله • وروي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسيل فقال لا ادري الا اني رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته **وقال** ابو عثمن الجيندي من امر
السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة
وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلثة الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم
في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال •
وجا في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتدا برسول الله صلى الله
عليه وسلم **وحكي** عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا
الما فاستعملت الحديث من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بميزر
ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قايلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك
السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل

فصل

ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان
والعذاب • قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او
يصيبهم عذاب اليم • وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى الاية **حدثنا** ابو محمد عبد الله بن ابي
جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراتي عليهما قالا نا ابو القسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن
القابسي نا ابو الحسن بن مسرور الدباغ نا احمد بن ابي سليمان نا سحنون بن سعيد نا

ابن القسم نا مالك عن العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما
يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك
فاقول فسحقا فسحقا فسحقا **وروى** انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب
عن سنتي فليس مني • وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد **وروى**
ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم على اريكته ياتيه الامر
من امري مما امرت او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه
زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما
حرم الله • وقال عليه السلم وجي بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او
قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية • وقال عليه السلم هلك
المتنطعون • وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيا من امره
ان ازيغ •

الباب الثاني

في لزوم محبته

قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على

الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلم اذ
قرّع تعالى من كان ماله واهله وولده احبّ اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسّقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم
يهده الله **حدثنا** ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد
قال نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا المروزي نا ابو عبد الله محمد بن
يوسف نا محمد بن اسمعيل نا يعقوب بن ابرهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
ولده ووالده والناس اجمعين **وعن** ابي هريرة نحوه **وعن** انس عنه عليه السلم
ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار
وعن عمر بن الخطاب انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء
الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر • قال سهل من لم ير ولاية الرسول
عليه السلم عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لا يذوق حلاوة سنته لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته

حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا ابو القسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي
بن خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبدان نا ابي
عن شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من
كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله
ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب
وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس
وعن ابي ذر بمعناه **وعن** علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد
حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم
القيمة **وروي** ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني
ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها
لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها
عليه • وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف
فقال ما بالك فقال بابي وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله

تفضيله فأنزل الله الآية. وحديث أنس من أحبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم إليه

حدثنا القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا
مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم
لو رآني بأهله وماله ومثله عن أبي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه
وسلم لأنت أحب إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان
أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت
ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي
طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر أنه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني
أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك. ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله
للعباس أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا

هو بحمد الله كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل
وسئل علي بن أبي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان
والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ.
وعن زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت فإذا عجوز تنفش
صوفا وتقول

على محمد صلاة الأبرار
صلى عليه الطيبون الأخيار. قد كنت قواما بكا بالأسحار. يا ليت شعري
والمنايا أطوار. هل تجمعني وحبيبي الدار. تعني النبي صلى الله عليه وسلم
فجلس عمر يبكي. وفي الحكاية طول. وروي أن عبد الله بن عمر خدرت
رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت.
ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبه
محمدا وحزبه. ويروى أن امرأة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت. ولما أخرج أهل مكة زيد
ابن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد
أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله
ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي
فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم

حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا
لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله
علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل

في علامات محبته عليه السلام

اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه
وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه
وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره
واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه
وشاهد هذا قوله ○ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ● وإيثار ما شرعه تعالى
وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته ○ قال الله تعالى والذين تبوؤا
الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما
أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ● وإسخاط العباد في رضى الله
حدثنا القاضي أبو علي الحافظ ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
قالا ثنا أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى ثنا مسلم بن
حاتم ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب
قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت
أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ● ومن

أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل
المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن
اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي حده في الخمر ولعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى
به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ○ ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر ذكره ● ومنها كثرة
شوقه إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه ○ وفي حديث الأشعريين عند قدوم مهم
المدينة أنهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه ● وتقدم قول بلال حبا وحزنه
ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ○ ومن علاماته
مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع والانكسار مع سماع والانكماش
اسمه ● قال إسحق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك
محبة لهم ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ○ ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار وعداوة من عاداهم
وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن
والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما ● وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه ○ وقال ومن أحبني فقد أحب الله
من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله ●
وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم

ووقف الاستاذ الى الانوار محمد ال داث بلغه الله المرادات

فبغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك
ان ياخذه ● وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها ● وقال لعائشة
في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه ● وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق
بغضهم ● وفي حديث ابن عمر من احب كل شي بحبه ● وهذه سيرة السلف حتى في المباحات
وشهوات النفس وقد قال انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدبا من حوالي
القصعة فما زلت احب الدبا من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن
جعفر اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ● وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله
عليه وسلم يفعل نحو ذلك ● ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه
ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته ● قال الله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ● وهولاء اصحابه
عليه السلام قد قتلوا احباهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته ● وقال له
عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ● ومنها ان يحب القران
الذي اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه
القران وحبه للقران بتلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها
قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب
القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة

الاخر

ووقف لله تعالى بزاويه ال داث

وعلامة بغض الدنيا



وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا الا يدخر منها
الا زادا وبلغة الى الاخرة ● وقال ابن مسعود لا يسال احد عن نفسه الا
القران فان كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله ● ومن علامة حبه للنبي صلى
الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم
كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤفا رحيما ● ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في
الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري
ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله ●
وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني
احبك قال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلث مرات قال ان كنت تحبني فاعد
للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه

فصل

في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها ٥

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت
عبارتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف
احوال فقال سفين المحبة اتباع الرسول عليه السلام كانه التفت الى قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية ● وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد
نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته ● وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب ● وقال اخر ايثار المحبوب ● وقال بعضهم المحبة الشوق الى

المحبوب ۝ وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره
ما كره • وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافقه واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى
ثمرات المحبة دون حقيقتها ۝ وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان ويكون
موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة
والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها
له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين
والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع
الانسان مائل الى الشغف بامثال هولاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع
من امة في اخرين ما يودي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون
حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على
حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلم
فعلمت انه عليه السلم جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر
وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة
واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رافته
بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه
بالمومنين رؤف رحيم ۝ ورحمة للعالمين • ومبشرا ونذيرا ۝ وداعيا الى الله باذنه •
ويتلو عليهم اياته • ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ۝ ويهديهم الى صراط مستقيم

فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين ۝ واي افضال اعم
منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية •
ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم
والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد
استبان لك انه عليه السلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح
الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال
فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه
من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم
ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك
لحسن سيرته او حاكم لما يوثر من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه
او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل
وقد قال علي عليه السلم في صفته عليه السلم من راه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة احبه • وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل في وجوب مناصحته عليه السلم ۝

قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ۝ قال اهل التفسير اذا نصحوا لله
ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه



ابو الوليد بقراني عليه نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله نا عبد المؤمن نا ابو بكر
التمار نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل وابن ابي صالح عن عطاء بن يزيد
عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم
قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة
قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير
للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص
من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف
النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له
بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه
والبعد من مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به
والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه
والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته
وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته
ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه
الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابرهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله

صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها
والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد
من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته
نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل
النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية
وقال ويتصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته
فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في
شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه
والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر
على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما
قدمناه وحكى الامام ابو القسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني
كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر
الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه
وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم

عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتقريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم
والنصح لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم
ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم ۝

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب طاعته وتوقيره وبره

قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله
ورسوله وتعزروه وتوقروه • وقال يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله • ويا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات
وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فأوجب تعالى تعزيره
وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه • قال ابن عباس تعزروه تجلوه • وقال
المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه • وقال الأخفش تنصرونه • وقال الطبري
تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء
الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب • وقال
سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا ونهوا
عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال
أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به وإلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد

والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال
واتقوا الله إن الله سميع عليم • قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم • وقال
السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم
نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته
وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه • قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه
بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض • ولكن
عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله
وهذا كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على أحد التأويلين • قال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى
بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه • قيل نزلت الآية في وفد بني تميم
وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون • وقيل نزلت الآية الأولى
في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما
حتى ارتفعت أصواتهما • وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله
عليه وسلم في مفاخرة بني تميم • وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت
هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ

جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل
شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروى ان ابا بكر لما نزلت هذه
الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدث لم يسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة
واجر عظيم • وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه
وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي
بصوت له جهوري ايا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا • قال بعض المفسرين هي لغة كانت في
الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا
نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى
على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي
المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ وقيل
غير هذا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره
واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي سماعي عليهما في اخرين
قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى ثنا ابرهيم بن سفين ثنا مسلم ثنا محمد بن
المثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا ثنا الضحاك بن مخلد ثنا حيوة بن شريح

[illegible]

حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا
طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما
اطقت لاني لم اكن املا عيني منه وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر
وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما
ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير • وقال عروة بن مسعود حين
وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه له
ما راى وانه لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا
ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط
منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش
اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت
ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما
يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان

وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير

يقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين
وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى وقال ما كنت لافعل هذا حتى يطوف به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه
فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى
نحبه • وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما • وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يقرعون بابه بالاظافير ۝ وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخر سنين من هيبته

فصل

واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان
حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته
ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته ۝ قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على
كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في
هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به
قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين
قال القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القسم احمد بن بقي الحاكم
وغير واحد فيما اجازونيه قالوا انا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث نا ابو الحسن علي
ابن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج نا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب قال نا يعقوب
ابن اسحق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في
هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية • وذم قوما فقال
ان الذين ينادونك الاية ۝ وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر
وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعوا ام استقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك
ادم عليه السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله • قال الله تعالى
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية ۝ وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني
ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه
غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رأيت منه ما رأيت
واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه • وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل
له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن
المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ۝ ولقد كنت
ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فكان اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم

اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت
اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القران
ولا يتكلم فيما لا يعنيه • وكان من العلما والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان
عبد الرحمن بن القسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف
لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن
الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع
ولقد رايت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
فكانه ما عرفك ولا عرفته • ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين
فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه
وروى عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر
على ملك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى • يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سوا وكان
عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت •
وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات
عند قراة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل

في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث النبي صلى الله عليه وسلم

حدثنا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو بكر البرقاني وغيره
نا ابو الحسن الدارقطني نا علي بن مبشر نا احمد بن سنان القطان نا يزيد بن هرون
نا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة
فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على
لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر
عن جبهته ثم قال هكذا ان شا الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما هو قريب من ذا
وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه • وقال ابرهيم بن عبد الله بن
قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال
اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا قائم • وقال مالك جا رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع فجلس
وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروى عن محمد بن سيرين
انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع • وقال ابو
مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا وتهيا
ولبس ثيابه • قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم • وقال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية

فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان
قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم
ووضع على راسه رداه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر
بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال غيره ولم يكن يجلس على
تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال ابن ابي اويس فقيل
لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا
على طهارة متمكنا • قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل وقال
احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت
عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا
يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس
قلت يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا قال انما صبرت اجلالا لحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق
فسالته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي • وساله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو
قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب • وذكر ان هشام بن
الغازي سال مالكا عن حديث وهو قائم فضربه عشرين سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين
حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن

صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران • وكان قتادة
يستحب ان لا يقرا احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة
وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء يتيمم

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه
عليه السلام وسلكه السلف الصالح • قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت الاية • وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو
محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله نا ابو الحسين المقرئ الفرغاني حدثتني ام
القسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن
اسمعيل نا يحيى هو الحماني نا وكيع عن ابيه عن ابي سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان
عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي
ثلثا قلنا ليزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس •
وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل
بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما • وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار
وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب • قال بعض العلماء
معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب
حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا •

فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبي
صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي
وقال عليه السلام في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه
وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق • وقال للعباس والذي نفسي
بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وانما
عم الرجل صنو ابيه وقال العباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءة وقال
هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة
الباب وحوايط البيت امين امين • وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول
اللهم اني احبهما فاحبهما • وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته
وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل
من قرابتي • وقال عليه السلام احب الله من احب حسنا • وقال من احبني واحب
هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة • وقال
صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله • وقال قدموا قريشا ولا تقدموها
وقال عليه السلام لام سلمة لا تؤذيني في عايشة وعن عقبة بن الحرث رايت ابا بكر
جعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك •
وروى عن عبد الله بن حسن بن حسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي

عادِ من عاداه صح

اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي
صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال
زيد خل عنك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد
ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا • وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد
فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض
وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه • وقال الاوزاعي دخلت
بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها
مولى لها يمسك بيدها فقام اليها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في
ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها
ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلثة الاف لاسامة بن زيد في ثلثة الاف
وخمس ماية قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان
زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك
فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي • وبلغ معوية ان كابس بن
ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن
سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروى ان مالكا لما ضربه جعفر بن سليمان ونال
منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت

صار بي في حل مسبيل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي ◉ وقيل ان المنصور اقاد من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جنبي الا جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما ◉ وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

فصل

ومن توقيره وبره عليه السلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات • ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك • كما قال عليه السلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا • قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة ◉ وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية ◉ وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة • وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي ابو علي نا الحسين وابو الفضل قالا نا ابو يعلى نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا الترمذي نا الحسن بن الصباح نا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر • وقال اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم

وعن انس قال قال ◉ رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به • وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه ◉ وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه • وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ◉ وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا • وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير ◉ وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني • قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية ◉ وقال من غاظه

اصحاب محمد فهو كافر • قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار • قال عبد الله بن المبارك
خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد • وقال ايوب السختياني
من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد
استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى • ومن احسن الثناء على اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف
للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون
قلبه سليما • وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس
اني راض عن ابي بكر فاعرفوا ذلك له ايها الناس اني راض عن عمر وعن عثمن وعن علي
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها
الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية • ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري
واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها لا توهب في القيمة غدا • وقال رجل
للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم احد معوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله عز وجل •
واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه
الله • وقال عليه السلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم • وقال
احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه يوشك ان ياخذه • وعنه عليه السلم من حفظني في اصحابي

ابن عمر

ومن تخلى الله منه



كنت له حافظا يوم القيمة • وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض ومن لم
يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد • قال ملك رحمه الله هذا
النبي مودب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى
البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي بحبهم
وموالاتهم ومعاداة من عاداهم **وروى** عن كعب ليس احد من اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيامة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع
يوم القيامة • قال سهل بن عبد الله التستري من لم يؤمن بالرسول لم يوقر اصحابه
ولم يعز اوامره

فصل

ومن اعظامه واكبار اعظام جميع اسبابه
واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلم او عرف به
وروى عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه
اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها
وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده • وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد
شعرات من شعره عليه السلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة
انكر عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب
القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في
ايدي المشركين • ولهذا كان ملك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول
استحي من الله ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة **وروى**

وروى ابن عمر وضع يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه

انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه
بمثل هذا الجواب • وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من
الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى
الله عليه وسلم اخذ القوس بيده • وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب
ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها
النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة • وفي الصحيح انه قال عليه السلم في المدينة من
احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وحكى ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم
من يد عثمان وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول • وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا
فليتبوا مقعده من النار • وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة
زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ... فوادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكى عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الابق لا يأتي
الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي قال
القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرج حت
منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على
جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات
ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات
ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوا خاتم النبيين
حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض
مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها
وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الانام وخص بالايات
عندي لاجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملات محاجري ... من تلكم الجدران والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها ... من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها ... ابدا ولو سحبا على الوجنات

لكن شاهدي من جميل تحيتي لقطين تلك الدار والجيران •
اذكى من المسك المفتوق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات •
وتخصه بزواكي الصلوات وانواع التسليم والبركات •

الباب الرابع

في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له • قال المبرد اصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء • وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي تشريف وزيادة تكرمة • وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل على انهما بمعنيين • واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة لك ومعك



ويكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متولٍ له وكفيل به ويكون هذا السلام اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل

اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك • وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة • قال ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه • وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة

واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علما الامة على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلوته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها ۝ وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد • وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفين الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم **وحكى** عن مالك وسفين انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء • وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلوة الاعادة ۝ واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان **وحكى** ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة • قال ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره **وحكى** ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها في الصلوة كقول الشافعي وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة من الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة • والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل

الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال • ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب • وفي الحديث لا صلوة لمن لم يصل علي • قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث ۝ وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه • قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم

فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلوة والسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب

من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء **حدثنا** القاضي ابو علي رحمه الله بقراتي عليه قال نا الامام ابو القسم البلخي نا الفارسي عن ابي القسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ نا محمود بن غيلان نا عبد الله بن يزيد المقري نا حيوة بن شريح حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن

مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يدعوا في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثنا عليه
ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء • ويروى من غير هذا السند
بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعا والصلوة معلق بين السما والارض
ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي عن النبي
صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروى ان الدعا محجوب حتى يصلي
الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال
الله شيئا فليبدا بمدحه والثنا عليه بما هو اهله ثم ليصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليسل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى
شراب شربه او الوضوء توضا والا هراقه ولكن اجعلوني في اول الدعا واوسطه
واخره • وقال ابن عطا للدعا اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق
اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السما وان وافق مواقيته فاز وان وافق
اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق
القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه
الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم • وفي الحديث الدعا بين الصلاتين على لا يرد •

وفي حديث آخر كل دعا محجوب دون السما فاذا جات الصلوة على صعد الدعا • وفي دعا
ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعاي ثم تبدا بالصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد
من خلقك اجمعين آمين • ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه
او عند الاذان وقد قال عليه السلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي • وكره
ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح • وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب
وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب • قال اصبغ عن ابن القسم
موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله
ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله • وقاله اشهب قال
ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى
النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم
الجمعه ومن مواطن الصلوة عليه دخول المسجد • وقال ابو اسحق ابن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه
وعلى اله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك • وقال عمرو
ابن دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد
فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام

على اهل البيت ورحمة الله وبركاته • قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد
وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في
البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين • وعن علقمة اذا دخلت المسجد
اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد • ونحوه عن
كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة • واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل
المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة • وقد ذكرنا هذا الحديث
آخر القسم والاختلاف في الفاظه • ومن مواطن الصلاة ايضا الصلاة على الجنائز • وذكر
عن ابي امامة انها من السنة • ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم ينكرها
الصلاة على النبي وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول
واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا
الكتب • وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام
اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة
حدثنا ابو القسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة
بنت احمد قالت نا ابو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن
شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم
فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله

وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد
صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد • وقد
روي عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب
مالك في المبسوط ان يقول ~~ذلك اذا فرغ~~ يسلم مثل ذلك قبل السلام • قال محمد بن
مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء
والارض من الملائكة وبني آدم والجن • قال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا
سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل

في كيفية الصلاة عليه والتسليم

حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه نا القاضي ابو الاصبغ نا
ابو عبد الله بن عتاب نا ابو بكر بن واقد وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا
مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد
الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد
وازواجه وذريته كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته
كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد • وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري

قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت
على آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم ۝ وفي رواية كعب
بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت
على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي
الامي وعلى آل محمد ۝ وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وذكر معناه حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن
طريف النحوي بقراءتي عليه قالا نا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال نا ابو بكر
المطوعي قال نا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي
عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه
علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد
مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك
حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان

يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه
امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية
زيد بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا
واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد
وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك
ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق
بالحق والدامغ جيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا
في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا
لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم
وانهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المأمون
وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة
اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول ۝ اللهم اعل على بناء الناس
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة
ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا
في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية

لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم
النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير
الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلم **وعن** عبد الله بن مسعود اللهم
اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد
عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه
الاولون والآخرون • اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن
البصري يقول • من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل
اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته
واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم
الراحمين **وعن** طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة
محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سؤله في الآخرة والاولى كما اتيت ابرهيم
وموسى **وعن** وهب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا
افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط
محمدا افضل ما انت مسئول له الى يوم القيمة **وعن** ابن مسعود انه كان
يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون

لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد وما يوثر في تطويل الصلوة وتكثير الثنا
عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد
من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصا لحين
وفي تشهد علي عليه السلم على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول
الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب
منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي
وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته جاء في الحديث عن علي الدعا للنبي عليه السلم بالغفران ••

فصل

في فضيلة الصلوة على النبي والتسليم عليه والدعا له
صلى الله عليه وسلم **حدثنا** احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي يونس
ابن مغيث نا ابو بكر بن معوية نا النسائي انا سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح صح
قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل

ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة
في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت له
الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي
صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيات ورفع له عشر درجات
وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل
ناداني فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن
رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلم لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله
يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة
ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المقرب عندك يوم القيمة
وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة
وعن ابي هريرة عنه عليه السلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر
وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال
يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب
يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع



قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك
قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت
من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا
فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي
عليك صلاة الا صلى الله عليه وملائكته عشرا وعن جابر بن عبد الله قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلوة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا
الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابي وقاص من
قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا غفر له
وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما
اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي
وفي اخرى ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن
ابي بكر الصديق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد
للنار والصلاة عليه افضل من عتق الرقاب

فصل

في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه قال القاضي الشهيد

ابو علي نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين قالا نا ابو يعلى السنجي نا محمد بن محبوب
نا ابو عيسى نا احمد بن ابراهيم الدورقي نا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد
ابن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له
ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ۝ قال عبد الرحمن واظنه
قال او احدهما • وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين
ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل
صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل
النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه
فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي
ابن ابي طالب انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ
به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان البخيل كل البخل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم كانت لهم عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر
لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه

عليه السلم من الجفا ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلم
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا
عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة
وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل
العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزا عنه ما كان
في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه عليه السلام

بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم عليه من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي نا الحسين بن محمد نا ابو عمر الحافظ نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود
نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي
روحي حتى ارد عليه السلم ۝ وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا
بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني
عن امتي السلام ۝ ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على
نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة ۝ وفي رواية فان احدا لا يصلي علي
الا عرضت صلوته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلم حيثما كنتم

فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة النبي صلى الله عليه
وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه • وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله
عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى
الله عليه وسلم فانه قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث
كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم • وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة
فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في
النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم
قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهرا واليوم الازهر فانهما يوديان عنكم
وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يوديها
ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا

فصل

في الاختلاف في الصلوة على غير النبي وساير الانبيا عليهم السلام قال القاضي رحمه الله
عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروى
عن ابن عباس انه لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم • وروي عنه لا ينبغي
الصلوة على احد الا النبيين وقال سفين يكره ان يصلى الا على نبي • ووجدت بخط
بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبيا سوى محمد عليه السلام
وهذا غير معروف من مذهبه • وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره



الصلوة على غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به • قال يحيى بن يحيى لست اخذ
بقوله ولا باس في الصلوة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر بما جاء في
حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى اله • قالوا
والاسانيد عن ابن عباس لينة • والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعا وذلك
على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع • وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملايكته الاية • وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل
عليهم الاية • وقال اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة • وقال النبي عليه السلام
اللهم صل على ال ابي اوفى • وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على ال
فلان • وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته • وفي اخر
وعلى ال محمد • قيل امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل ال الرجل ولده
وقيل قومه • وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة • وفي رواية انس سيل
النبي صلى الله عليه وسلم من ال محمد قال كل تقي • ويجي على مذهب الحسن
ان المراد بال محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلوته على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على ال محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض وياتي ب
النفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل
قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود يريد من مزامير داود •
وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته

وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا
من رواية يحيى الاندلسي وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب
فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون
بالنهار قال القاضي والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفين
وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقها والمتكلمين انه لا يصلى على
غير الانبيا عند ذكرهم بل هو شي يختص به الانبيا توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله تعالى
عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص
النبي صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما
امر الله تعالى به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الايمة وغيرهم
بالغفران والرضى كما قال الله تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن
معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثه الرافضة والمتشيعة في بعض
الايمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك
وذكر الصلوة على الال والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة
اليه لا على التخصيص وصلوة النبي على من صلى عليه مجراها مجرى الدعا والمواجهة ليس فيها
معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم

كدعا بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعا مخالفا لدعا الناس بعضهم لبعض
وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا •

فصل في حكم زيارة قبر النبي عليه السلم

وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعوا وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم
سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال النبي صلى الله
عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة • وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في
حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في
معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلم لعن الله زوارات القبور
وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد
اطلق اسم الزيارة • وقيل ان ذلك لما قيل ان الزاير افضل من المزور • وهذا
ايضا ليس بشي اذ ليس كل زاير بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث
اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه والاولى عندي ان منعه
وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي
لم يكره لقوله عليه السلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على
قوم اتخذوا قبور انبيايهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه

بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم ○ قال اسحق بن ابرهيم الفقيه وما
لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطي قدميه والعمود الذي
كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه ومن عمره وقصده من الصحابة وائمة
المسلمين والاعتبار بذلك كله • وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول
بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته
يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله
عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة ○ وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر
ابن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فاقرئه مني السلام ○ وقال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام • قال
بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى
ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في
رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى
القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي ○ قال ابن ابي مليكة من احب
ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على
راسه • وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة واكثر يجيء الى القبر

فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم
ينصرف • وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القسم
والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته • قال في المبسوط ويسلم على
ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله
عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال
ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول عليه السلام باسم الله وسلام على
رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان
الرجيم ○ ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل
وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسئله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت
ركعتاك في غير الروضة اجزاتاك وفي الروضة افضل وقد قال عليه السلام
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة
ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر
وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلاة في مسجد النبي عليه السلام بالليل والنهار ولا تدع
ان تاتي مسجد قبا وقبور الشهداء • قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه

وسلم

اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده
الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت محمد
صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى
الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على
النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية
اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسئلك من فضلك وفي
اخرى اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا
دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
باسم الله دخلنا وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل
ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
صلى الله على محمد وسلم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا • وفي رواية حمد الله وصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية باسم الله والصلوة على رسول الله
وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي
ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم
المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في
المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما
ذلك للغرباء • وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على

قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا
من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر
وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون
ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع
ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها
انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القسم
ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك
رايي • قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك
واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلم
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا
يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا • وفي العتبية يبدا بالركوع قبل السلام
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه
وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب
الي من التنفل في البيوت

فصل

فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه
وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة

وَمكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه
روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو
قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن
عباس انه مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه نا الحسين
ابن محمد الحافظ نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا
ابو داود نا مسدد نا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام
ومسجدي هذا والمسجد الاقصى • وقد تقدمت الاثار في الصلوة والسلام على
النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم • وقال مالك سمع عمر بن الخطاب
صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال من ثقيف قال لو كنت من هاتين
القريتين لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت ۝ قال محمد بن سلمة لا ينبغي
لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال
القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي عليه السلم
والعلما كلهم متفقون ان حكم ساير المساجد هذا الحكم • قال القاضي اسمعيل
وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيها

يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت وقد كره رفع
الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا ۝ وقال
ابو هريرة عنه عليه السلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا
المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثنا على اختلافهم
في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع
صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول عليه السلم
افضل من الصلاة في ساير المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما
روى عن عمر بن الخطاب صلوة في المسجد الحرام خير من ماية صلوة فيما سواه
فتاتي فضيلة مسجد الرسول عليه بتسع ماية وعلى غيره بالف وهذا مبني على
تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك
واكثر المدنيين وذهب اهل الكوفة ومكة الى تفضيل مكة وهو قول عطا
ابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثنا
في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا
بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة
وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بماية صلوة
وروى قتادة مثله فياتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة

الله اه وكذلك عند الميزاب ○ وعنه عليه السلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من الامنين ● قرات على القاضي الحافظ
ابي علي رحمه الله حدثتك ابو العباس العذري قال نا ابو اسامه محمد بن احمد بن محمد الهروي
الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس
سمعت الحميدي قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما دعى احد بشي في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس
فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا استجيب لي ○ وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشي في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي ● وقال سفين وانا فما
دعوت الله تعالى بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي
قال الحميدي وانا فما دعوت الله تعالى بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
سفين الا استجيب لي ● وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله تعالى بشي في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي ○ وقال ابو الحسن محمد
ابن الحسن وانا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن
ادريس الا استجيب لي ● قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيا
وانا فما دعوت بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب
لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة ● قال العذري وانا فما

دعوت الله تعالى بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب
لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشيا كثيرة استجيب لي بعضها وارجوا
من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها **قال** القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه
النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على
تمام الفايدة والله الموفق للصواب برحمته ○

القسم الثالث

فيما يجب للنبي عليه السلم ● وما يستحيل او يجوز عليه

وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان تضاف اليه ○ قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الاية ● وقال ما المسيح ابن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام ○ وقال وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق ● وقال
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا من البشر ارسلوا
الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم ○ قال الله تعالى
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم
مخالطتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورويته اذا كان على صورته
وقال قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه

القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحيا تحصل له العلم الاول بوقوعه وازداد العلم
الثاني بكيفيته ومشاهدته ○ الوجه الثاني ان ابرهيم عليه السلم انما اراد
اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسوال ذلك من ربه ويكون قوله
اولم تومن اى تصدق في منزلتك مني وخلتك واصطفائك ● الوجه الثالث
انه سال زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم
الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات
ممتنع ويجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة و
الترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل
ابن عبد الله سال كشف غطا العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله ○
الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه
ليصح احتجاجه عيانا ● الوجه الخامس قول بعضهم هو سوال على طريق
الادب المراد اقدرني على احياء الموتى ○ وقوله ليطمين قلبي عن هذه الامنية
الوجه السادس انه راى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه
وقوله نبينا عليه السلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم شك
وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اى نحن موقنون بالبعث واحيا الله
الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد
امته الذي يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم



على اختبار حاله وازدياد يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت
في شك مما انزلنا اليك فاسل الذين يقرون الكتاب من قبلك الايتين فاحذر
ثبت الله قلبك ان تخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من
اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز
عليه جملة بل قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسل ونحوه
عن ابن مسعود وحكي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسل
وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك
ان كنت في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله تعالى
قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية ● وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لين اشركت ليحبطن عملك الاية والخطاب
له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هولاء ونظيره كثير ○ قال بكر
ابن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلم
كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف تكون ممن كذب به فهذا كله يدل على
ان المراد بالخطاب غيره ● ومثل هذه الاية قوله الرحمن فاسل به خبيرا المامور
ها هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسل النبي والنبي عليه السلم هو الخبير المسول
لا المستخبر السايل ○ وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي عليه السلم
بسوال الذين يقرون الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار الامم لا فيما دعا اليه

من التوحيد والشريعة • ومثل هذا قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم
قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن أرسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ
أجعلنا من دون الرحمن إلى آخر الآية على طريق الإنكار أي ما جعلنا حكاه مكي وقيل
أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك فكان أشد يقينا من
أن يحتاج إلى السؤال فروي أنه قال لا أسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سلوا أمم من
أرسلنا هل جاؤوهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
والمراد بهذا والذي قبله إعلامه بما بعثت به الرسل وأنه تعالى لم يأذن في عبادة غيره
لأحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى وكذلك
قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من
الممترين أي في علمهم بأنك رسول الله وإن لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما
ذكر في أول الآية • وقد يكون أيضا على مثل ما تقدم أي قل لمن امترى يا محمد في ذلك
لا تكونن من الممترين بدليل قوله أول الآية أفغير الله أبتغي حكما الآية وأن النبي
صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى أأنت قلت
للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقد علم أنه لم يقل • وقيل معناه ما كنت في
شك فسل تزدد طمأنينة وعلما إلى علمك ويقينك • وقيل إن كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن

كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا لهم

أبي عبيدة أن المراد إن كنت في شك من غيرك فيما أنزلنا • فإن قيل فما معنى قوله حتى
إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا على قراءة التخفيف • قلنا المعنى في ذلك
ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربها وإنما معنى ذلك
أن الرسل لما استيأسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم على الأتباع والأمم
لا على الأنبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا
المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق
بمنصب العلماء فكيف بالأنبياء عليهم السلام وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ
الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية
الملك ولكن لعله أن لا يحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق
نفسه هذا ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد لقائه الملك أو يكون ذلك قبل لقائه الملك
وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الشجر والحجر
وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولا في المنام
ثم أري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة
فلا يحتمله لأول حالة بنية البشرية • وفي الصحيح عن عائشة أول ما بدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب إليه الخلاء
وقالت • إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس
مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء

سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه • وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرا فقلت
ما اقرا وذكر نحو حديث عائشة في غطه له واقرائه اقرا باسم ربك السورة قال
فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او
مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي
منه فلاقتلها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت
رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فبين في هذا
ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله
تعالى له بالنبوة واظهاره اصطفاه له بالرسالة • ومثله حديث عمرو بن شرحبيل
انه عليه السلم قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت ندا وقد خشيت والله ان
يكون هذا لامر • ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول
لو صح قوله في بعض الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون • والفاظا يفهم منها
معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك
انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا يصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له
ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا شك ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد
روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى من مكة من

واعلام الله



العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت
له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا • وحديث خديجة واختبارها امر
جبريل بكشف راسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى
بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك • وفي
حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع
ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي
وذكر الحديث الى اخره • وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر
وامنت به فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا
للنبي صلى الله عليه وسلم • وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل
لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم
مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب
من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث •
ويصح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله

ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوه للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر
فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب
منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي
عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلم خشية تكذيب قومه له
لما وعدهم به من العذاب ◉ وقوله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه فـ
معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه
وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد
قرئ نقدر عليه بالتشديد • وقيل نواخذه بغضبه وذهابه ◉ وقال ابن زيد
معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من
صفات ربه • وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو
قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله
كفر لا تليق بالمومنين فكيف بالانبيا عليهم السلم ◉ وقيل مستحييا من قومه ان يسموه
بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر • وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه
الى امر امره الله به على لسان نبي اخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه
فخرج لذلك مغاضبا • وقد روي عن ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان
بعد ان نبذه الحوت ◉ واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا

عليه شجرة من يقطين وارسلناه • ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت
وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل
نبوته ◉ فان قيل فما معنى قوله عليه السلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم
مائة مرة • وفي حديث في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون
هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلم بل اصل الغين في هذا ما يتغشى
القلب ويغطيه • قاله ابو عبيد واصله من غين السما وهو اطباق الغيم عليها ◉ وقال
غيره والغين شي يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوى
فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او
اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات
وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان
عليه السلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل
ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعبا ادا الرسالة
وحمل الامانة وهو مع كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان عليه السلم
ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند
خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك
ارفع حاليه راى عليه السلم حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله

طريق

وحفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى
معنى ما اشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه
وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبنى على جواز الفترات والغفلات والسهو فى غير طريق
البلاغ على ما سيأتى ۝ وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال
بتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه فى حال سهو او فترة
الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلم لاهتمامه بهم
وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة
التى تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلم
عندها اظهارا للعبودية والافتقار ۝ وقال ابن عطا استغفاره وفعله
هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار • قال غيره ويستشعرون الحذر ولا
يركنون الى الامن ۝ وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام
تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال فى ملازمة
العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روى فى بعض
طرق هذا الحديث عنه عليه السلم انه ليغان على قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرة
فاستغفر الله • فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلم ولو شا الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ۝ وقوله لنوح عليه السلم فلا تسالنى ما ليس
لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين • فاعلم انه لا يلتفت الى قول من قال

وآية نبينا عليه السلم لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شا لجمعهم على الهدى وفى اية نوح
عليه السلم لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل
بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبيا عليهم السلم والمقصود وعظهم ان لا
يتشبهوا فى امورهم بسمات الجاهلين كما قال انى اعظك وليس فى اية منها دليل على
كونهم على تلك الصفة التى نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها فلا تسالنى ما
ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز
اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من
السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس
من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكى كذلك امر نبينا فى الاية الاخرى بالتزام
الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر
حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اى فلا تكونوا من الجاهلين
حكاه ابو محمد مكى وقال مثله فى القران كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة
الانبيا منه بعد النبوة قطعا ۝ فان قلت فاذا تقرر عصمتهم من هذا وانه
لا يجوز عليهم شى من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلم على ذلك ان
فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية ۝ وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية وقوله
لاخذنا منه باليمين • وقوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله

وقوله فان يشا الله يختم على قلبك • وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته • وقوله
اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه السلم
لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله
ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين ولكن يسر امره
بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما
بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون
لا تخافا فالتشدد بصايرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف
للنفس • واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية ◌ وقوله اذا لاذقناك ضعف
الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاوك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله
وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله فالمراد غيره كما قال
ان تطيعوا الذين كفروا الاية • وقوله فان يشا الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن
عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم
لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله
ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما كان
طردهم عليه السلم ولا كان من الظالمين

فصل

واما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة
من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار

عن الانبيا عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد
والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في
الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا
نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد
استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا
قد رمت نبينا عليه السلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياها بكل ما امكنها
واختلقته مما نص الله او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد
منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان
هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم
عما كان يعبد افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان
يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا
اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم • وقد استدل القاضي القشيري
على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الاية
وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله
من الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به
ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا



ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون كذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا
واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا
كما تظاهرت به اخبار المبدا ولا يشبه عليك بقول ابرهيم في الكوكب والقمر والشمس
هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتدا النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلما والمفسرين الى انه انما قال
ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم • وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار
والمراد افهذا ربي **قال** الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي
اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك بالله قط طرفة عين
قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم
تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين ○ وقال
اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان
قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين • قيل انه ان لم
يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو
معصوم في الازل من الضلال ○ فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود
وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة

كلام العرب لغير ما هو له ابتدا بمعنى الصيرورة كما جا في حديث الجهنميين
عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك • ومثله قول الشاعر ❁
فعادا بعد ابوالا • وما كانا قبل ذلك ○ فان قلت فما معنى قوله ووجدك
ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر • قيل ضالا عن النبوة فهداك
اليها قاله الطبري ○ وقيل ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للارشاد • والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد ○ وقيل ضالا عن
شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ها هنا التحير ولهذا كان
عليه السلم يخلو بغار حرا في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى
هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري ○ وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه
وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى • قال ابن عباس لم تكن
له ضلالة معصية ○ وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين • وقيل وجدك
ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة • وقيل المعنى ووجدك فهدى بك
ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها
فمننت عليك بمعرفتي ○ وقرا الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك
وقال ابن عطا ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال
انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين اذ لو قالوا
ذلك في نبي الله لكفروا ○ ومثله عند هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اي

محبة بينة ۝ وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك
لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية • وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى
اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان
وكذلك في قصة موسى عليه السلم قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين
الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة ۝ وقال الازهري معناه من الناسين وقد قيل
ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما فان قلت
فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت
تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان ۝ وقال بكر القاضي نحوه
قال ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام قال فكان قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت
الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمن
ابن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين
مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه وعهده
باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره ابن حنبل جدا وقال هذا
موضوع او شبيه بالموضوع ۝ وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده
والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي
صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في قصة
بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفره

فقال الآخر كيف نقوم خلفه صح

مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لا تسالني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له
بحيرا الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال سل عما بدا لك • وكذلك المعروف من سيرته فبالله صح
وتوفيق الله له انه كان يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو قبل نبوته صح
بعرفة لانه كان موقف ابرهيم عليه السلم

فصل

قال القاضي ابو الفضل قد بان بما قدمناه عقود الانبيا في التوحيد والايمان
والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها عنها
انها مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين
والدنيا ما لا شي فوقه ومن طالع الاخبار وعني بالحديث وتامل ما قلناه
وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع اول
قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما
تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق الانبيا العصمة من عدم معرفة الانبيا ببعضها
او اعتقادها على خلاف ما هي عليه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة ولا وصم عليهم فيه صح
وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شا الله
ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم
المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في

مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية وأحوال الأنبياء
وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة وأما إن كان هذا
العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا
يخلو أن يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على
ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما
لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى
مقتضى حديث أم سلمة إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات
وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون أيضا ما يعتقده مما
يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالفه
لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر
بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الشرعيات ولأن
القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي واجتهاده
إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه قلبه فأما ما
لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها إلا ما علمه الله شيئا
شيئا حتى استقر علم جملتها عنده إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم
بما أراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم
جميعها عنده وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء

الجهل بالجملة ولا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه
إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والأرض
وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى وأمور الآخرة وأشراط الساعة
وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما
تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية
اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان عنده من علم ذلك
ما ليس عند جميع البشر لقوله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على
قلب بشر ولا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول موسى للخضر هل
أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم أسألك بأسمائك
الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وقوله أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو
استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم
قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم إلى الله وهذا ما لا خفاء به إذ معلوماته
تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد
والشرع والمعارف والأمور الدينية

فصل

واعلم أن الأمة
مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بأنواع
الأذى ولا على خاطره بالوساوس وقد أخبرنا القاضي الحافظ أبو علي
رحمه الله ثنا أبو الفضل بن خيرون العدل ثنا أبو بكر البرقاني وغيره ثنا أبو الحسن

الدارقطني نا اسمعيل الصفار نا عباس الترقفي نا محمد بن يوسف نا سفين عن منصور
عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا
واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم ۝ زاد غيره عن منصور
فلا يامرني الا بخير ● وعن عايشة بمعناه ۝ روي فاسلم بضم الميم اي فانا اسلم منه
وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها ۝ وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال
كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم
فاستسلم **قال** القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم
شيطانه وقرينه المسلط على بني ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا
اقدر على الدنو منه ۝ وقد جاءت الاثار بتصدي الشياطين له في غير موطن
رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا
خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره ● ففي
الصحاح قال ابو هريرة عنه عليه السلم عرض لي قال عبد الرزاق في
صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة فامكنني الله منه فذعته ۝ ولقد هممت
ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية فرده الله خاسيا ۝ وفي حديث ابي الدرداء
عنه عليه السلم ان عدو الله جاني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه

المبسرخ

وسلم في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر
نحوه وقال ● لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه
في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره في
الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع
قريش في الايتمار بقتل النبي عليه السلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة
اخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى ۝
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية ۝ ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة
وكل هذا امره وعصمه ضره وشره ۝ وقد قال عليه السلم ان عيسى عليه
السلم كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب ۝ وقال
عليه السلم حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال
انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي **فان قيل** فما معنى قوله تعالى
● واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين
انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك
يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله ۝ وقيل النزغ هنا الفساد كما
قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ۝ وقيل ينزغنك يغرينك
ويحركك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب
على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له

سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط
عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه ۝ وقد قيل في هذه الاية غير
هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا
فى اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد فى ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبى
ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضرورى يخلقه الله له او
ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته • فان قيل
فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان
فى امنيته الاية ۝ فاعلم ان للناس فى معنى هذه الاية اقاويل منها السهل
والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين
ان التمنى هاهنا التلاوة والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار
من امور الدنيا للتالى حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير
ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه
ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتى الكلام على هذه الاية بعد باشبع
من هذا ان شاء الله تعالى • وقد حكى السمرقندى انكار من قال بتسلط
الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح ۝ وقد ذكرنا
قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذى ولد له •
وقال ابو محمد مكى فى قصة ايوب وقوله انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب



انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذى امرضه والقى الضر فى
بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم ۝ قال مكى وقيل
ان الذى اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله ۝ فان قلت فما معنى
قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان ۝ وقوله عن يوسف فانساه
الشيطان ذكر ربه • وقول نبينا حين نام عن الصلاة يوم الوادى ان هذا
واد به شيطان ۝ وقال موسى عليه السلم فى وكزته هذا من عمل الشيطان
فاعلم ان هذا الكلام قد يرد فى جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب فى
وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤوس
الشياطين • وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان ۝ وايضا
فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له فى ذلك الوقت نبوة مع موسى
قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه • والمروى انه انما نبئ بعد موت موسى
وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران ۝ وقصة
يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته • وقد قال المفسرون فى قوله تعالى
انساه الشيطان قولين احدهما ان الذى انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبى
السجن وربه الملك اى انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلم ۝ وايضا
فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف عليه السلم • ويوشع
بوسواس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما

ما ينسيهما ما نسيا وأما قوله عليه السلم ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر
تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك
الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام
فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة
الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا الوادي به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة
واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل
مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله
فصل واما اقواله عليه السلم فقامت الدلايل الواضحة بصحة المعجزة على
صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء
منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف
بدليل المعجزة القايمة مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة
اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق
الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء
ذلك وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه
لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذلك فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على
ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام
بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضى

والسخط والصحة والمرض • وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب
كلما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله
الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة
على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قايمة مقام
قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما
ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط
والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة
واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا
واجماعا كما قال ابو اسحاق **فصل** وقد توجهت ها هنا لبعض الطاعنين
سؤالات منها ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى
ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى
والغرانقة العلا تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون
والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على
لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه

وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء فينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه
فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى
الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية
وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية **فاعلم** اكرمك الله ان لنا في الكلام
على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه
اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه
ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون
بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي
حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع
ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول
انه في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة وآخر يقول
قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان
قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقراتك
وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها فلما بلغ النبي
ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية
عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها واكثر الطرق عنهم
فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن

عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة
قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد
متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن
سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله
انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع
وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث
الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار
والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا والنجم وهو بمكة فسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة
المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن
مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو
كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد
النبي صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام وذلك
كله ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه
عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع
عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه
عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول

على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية ووجه ثان وهو
استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد
الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبى
صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك
وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع فى باب البيان ومعرفة فصيح
الكلام علمه • ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندى المشركين
وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبى
صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشمات بهم الفينة بعد الفينة
وارتداد من فى قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد فى هذه
القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت بها
قريش على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا
مكابرة فى قصة الاسراء حتى كانت فى ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روى
فى قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادى
حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم
بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك فى ادخال بعض شياطين
الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين

ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القصة ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين
وهاتان الايتان تردان الخبر الذى رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى
يفترى وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من
ان يفترى وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون فى اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم
يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهى تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل
قوله فى الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك
وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شىء • وقد روى عن ابن عباس كل ما فى
القران كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيرى القاضى ولقد طالبه قريش
وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل
ولا كان ليفعل قال ابن الانبارى ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت فى معنى
الاية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله بعصمته وتثبيته مما
كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته عليه السلام
وهو مفهوم الاية واما الماخذ الثانى فهو مبنى على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا
الله من صحته ولكن على كل حال فقد اجاب ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين
فمنها ما روى قتادة ومقاتل ان النبى صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته

هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي
مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم
ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي
صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب
عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل
هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهوا ولا عمدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل
لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول
ابرهيم عليه السلام هذا ربي على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت
وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على
هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر
ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه
الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك
الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها
من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة
قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان

وعيبها ما عرف منه ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة
والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة
وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى
الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه
وهذا نحو قول الكلبي في الآية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه
وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه
تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط آية
منه او كلمة ولكنه لا يقر على السهو بل ينبه عليه ويذكر للحين على ما سنذكره في
حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله ايضا ان مجاهدا
روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان
قرآنا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا
فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان
والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم
الذكر وله الانثى فانكر كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما
تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه
في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين

الليتين وجد الشيطان بهما للتلبيس سبيلا ثم نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان
في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به
الا الفاسقين ۝ وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم الآية • وقيل ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في
تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ۝ ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه
واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك الآية وبين للناس
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما
ضمنه الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية • ومن ذلك ما روي من قصة
يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب
فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا **فاعلم** اكرمك الله
انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم
وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكن قال
لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب

وتداركهم • قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية
وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال
ابن مسعود غشاهم العذاب كما يغشى السحاب القبر **فان قلت** فما معنى ما روي
من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم
فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب ۝ وفي حديث آخر فيقول له النبي
صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول
اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت • وفي
الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد
وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له **فاعلم** ثبتنا الله واياك على
الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية
اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر
المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسله ما هو اعظم من هذا
والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفتر على الله ورسله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد
ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك
هم الكاذبون ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم

فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن
وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على
الرسول قبل اظهار الرسول لها اذا كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها
ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته
كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام الحسن
الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة
وكذلك قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من
مقاطع الآي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى
احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها
له النبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم
الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور
وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على
وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى
العظام كيف ننشزها وننشرها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا
ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما ۞ وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون

واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ صح

فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في
ذلك كيف شاء

فصل

هذا القول فيما طريقه البلاغ من الاخبار
التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا
واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء
من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه
وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم
عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله
والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا
تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما
احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله لهم
واحتج عليهم عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال
اليهودي كانت هزيلة من ابي القسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره
وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
عليه السلام لغلط في قول قاله او اعتراف بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك
لنقل كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل
وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله
والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني

وقوله انكم تختصمون الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الما الجدر كما سنبين كل ما في
هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شا الله مع اشباهها وايضا فان الكذب
متى عرف من احد في شي من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره واتهم
في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلما الحديث
عمن عرف بالوهم والغفلة وسو الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب
في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة مسقط للمروة وكل هذا مما ينزه عنه
منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويشنع مما يخل بصاحبها ويزري
بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغاير فهل تجري
على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه ○ والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره
سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جا به النبي صلى
الله عليه وسلم وتجويز شي من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة
فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبيا خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد
ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من سامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه
البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم
واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد
وانظر احوال عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسوالهم عن
حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على

عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب
الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه

فصل

فان قلت فما معنى قوله عليه السلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر
قال ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو عبد الله بن الفخار ثنا
ابو عيسى ثنا عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفين مولى ابن ابي
احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول صلى الله عليه وسلم صلوة العصر فسلم في ركعتين
رسول الله ٢
فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة ام نسيت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت
الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو
اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله **فاعلم** وفقنا الله واياك
ان للعلما في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف
والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه
من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه
واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا
عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه
على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو
قول مرغوب عنه نذكره في موضعه ○ واما على احالة السهو عليه في الاقوال

وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
واما النسيان فاخبر عليه السلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا
عن ظنه وان لم ينطق به وهذا اصدق ايضا ۝ وجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى
السلام اي انى سلمت قصدا وسهوت عن العدد اى لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل
وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله
كل ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه
مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رايت فيه
لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها ۝ قال القاضي
ابو الفضل والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس
انكار للفظ نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت
اية كذا وكذا ولكنه نسي ۝ وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر لم انس ولكني انسى
فلما قال له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو
من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سال غيره فتحقق انه نسي واجرى
عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم
تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشايخ
وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه



النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو انما هو شغل بال فكان النبي صلى
الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في
الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت
ولا نسيت خلف في قول ۝ واما قصة كلمات ابرهيم عليه السلم المذكورة في الحديث
انها كذبات الثلاث المنصوصة في القران منها اثنان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم
هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها
خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها
مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سا سقم اي
ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا
وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت ۝ وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم
وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر
بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق ۝ وقيل بل عرض بسقم حجته
عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه
اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه
لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما
يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب
والقمر والشمس ما نصه الله وقد قدمنا بيانه ۝ واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية

فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت
لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه • واما قوله اختي فقد بين في الحديث
وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون
اخوة **فان قلت** فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات • وقال
لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات • وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته
فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن
الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم
عليه السلم من مواخذته بها • واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا يأخذ
عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخر والبحث عن اخباره
والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا
خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف **فان قلت** فما
معنى قول موسى عليه السلم وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه
ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك
وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض
طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه
فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه

ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفا تقتضي ذلك فيكون
اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله
انا اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة
الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه
كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم
على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما • وعتب الله
ذلك عليه فيما قاله العلما انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت
الملايكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا
يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك
لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي
والدعوى وان نزه عن هذه الرذايل الانبيا فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك
ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال
عليه السلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انه سيد ولد ادم ولا فخر
وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى
ولا يكون الولي من النبي واما الانبيا فيتفاضلون في المعارف • وبقوله
وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون
بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا كان في زمان موسى عليه السلم

نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيا يعول عليه واذا
جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى
اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله
والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما الجي موسى الى الخضر للتاديب
لا للتعليم **فصل** واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها
القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد
وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا من الفواحش والكباير
الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي
بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو
اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان
كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة • واما الصغاير
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره
من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت
طايفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع
باحد الوجهين • وذهبت طايفة اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغاير كعصمتهم من الكباير وقالوا لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من
الكباير واشكال ذلك • وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة

وانه انما سمي منها الصغيرة بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان
يجب كونه كبيرة **قال** القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله
صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير
اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي والمشية في العفو عنها الى الله وهو قول القاضي ابي بكر
رحمه الله وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقها • وقال بعض ائمتنا ولا يجب
على القولين ان يختلف انهم معصومون من تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك
بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت الازرا
والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبيا اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم
ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبيا منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا
ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى
الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل •
بعض الائمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم
وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة
من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك **وحكى**
ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري
وابن القصار واكثر اصحابنا وهو قول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري
وابن خيران من الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طايفة الى الاباحة وقيد

بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة • ومن قال
بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم
اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية
ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول
اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن
نبينا عليه السلم مجمعون انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيئا فسكت
عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه
منه في نفسه وعلى هذا الماخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر
او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم
من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي عليه السلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء
باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع • واحتجاجهم
برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس ۝ واحتج غير واحد
منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله
وقال هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم • وقالت عائشة محتجة كنت افعله انا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ وغضب عليه السلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه
فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والآثار
في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم

بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر عنهم
ذلك ولما انكر عليه السلم على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه • واما المباحات
فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة
عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة
واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات
مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على
هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا في خصال نبينا فبان لك
عظيم فضل الله على نبينا وعلى ساير انبيايه عليهم السلم بان جعل افعالهم قربات
وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون
والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف
والمسالة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع
وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلم قبل ان يوحى اليه وهل كان متبعا
لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول
غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر
والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب
سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل

ومواراة الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره
في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك
الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شي من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك
عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح
وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى
واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلم وترك قطع الحكم عليه بشي في
ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل
وهو مذهب ابي المعالي ○ وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله
ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر
بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح
وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في
هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين
اذ لو كان شي من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبيا
فلزمت شريعته من جا بعدها اذ لم يثبت عموم دعوى عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي
دعوة عامة الا لنبينا عليه السلم ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة
ابرهيم حنيفا وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على
اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى

فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس
برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع
بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل
يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبيا غير نبينا عليهم السلم او يخالفون
بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال
الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ● ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال
بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل

هذا حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل
تحت التكليف ● واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف
الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال
الانبيا في ترك المواخذة به وكونه ليس معصية لهم مع اممهم سوا ثم ذلك على
نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم
باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة
من العلما حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع
ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا
فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا
لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والادا وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك



وبسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا
والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة
في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه
كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية
لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك يناقضها واما السهو في الافعال
فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات
البشر كما قال عليه السلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلم سبب افادة علم وتقرير
شرع كما قال عليه السلم اني لانسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن
انسى لاسن وهذه الحالة زيادة في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات
النقص واعراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو
والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل
انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله
عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه
فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات
والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة
ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال
بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في
هذا شي يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان
والغفلات والفترات في حقه عليه السلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب
علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا
ان شاء الله تعالى

فصل

في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلم
قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز عليه السهو عليه السلم وما يمتنع واحلنا
في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية
على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه
الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلم في الصلاة ثلثة احاديث
اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام
من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي عليه السلم صلى الظهر خمسا
وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به
اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا
السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان
النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق
وقد قال عليه السلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني

وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن
وقال عليه السلم اني لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي
وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن ۞ وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه
ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله • قال القاضي ابو الوليد
الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على
سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي
له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر عن
نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طايفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى
انه صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول
وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن هذا والسهو شغل فكان
عليه السلم يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلوة شغلا بها
لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طايفة الى
منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلم كان عمدا وقصدا ليسن وهذا
قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطايل لانه كيف يكون متعمدا
ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله
اني لانسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال
انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ايمتنا

وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا ادتضيه ولا حجة لهاتين
الطايفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما
فيه نفي لفظه وكراهة لقبه لقوله بيسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه
نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي
بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو
عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر
والعصر والمغرب والعشاء ۞ وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف
اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح
ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له **فان قلت** فما تقول في نومه
عليه السلم عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي ۞ •
فاعلم ان للعلما عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه
وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك ويصحح هذا التاويل قوله
في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت على نومة مثلها
قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار
شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم ۞
الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان
محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا • وحديث

ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج
به على وضوءه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفي اخر
الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضا ۞ وقيل لا ينام
قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب • وقد قال عليه السلم ان الله قبض ارواحنا ولو
شاء لردها الينا في حين غير هذا **فان قيل** لولا عادته من استغراق النوم لما قال
لبلال اكلا لنا الصبح ۞ فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلم التغليس
بالصبح ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح
الظاهرة فوكل بلالا لمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم
عن مراعاته **فان قيل** فما معنى نهيه عليه السلم عن القول نسيت وقد قال
اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ۞ وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية
كنت انسيتها **فاعلم** اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان
يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ نقله من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه
ولكن الله تعالى اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله
تذكرها صلح ان يقال فيه انسى ۞ وقد قيل ان هذا منه عليه السلم على طريق الاستحباب
ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه
عليه السلم لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله

الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل بقيته الا ما قضى الله نسخه ومحوه من
القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله
كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا
في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه ۞

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا
به في ذلك • اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن تابعهم
على ذلك من المتكلمين **احتجوا** على ذلك بظواهر كثيرة من القران والحديث ان
التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم
فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في
مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن
مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطا قولهم
وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى
فمن ذلك ۞ قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر • وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات • وقوله ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك • وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم ۞ وقوله لولا
كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم • وقوله عبس وتولى ان جاءه
الاعمى الاية ۞ وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى آدم ربه فغوى • وقوله

فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا الاية ۝ وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية • وقوله عن
يونس سبحانك اني كنت من الظالمين • وما ذكر من قصته وقصة داود ۝ وقوله وظن داود
انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها
وما قص من قصته مع اخوته ۝ وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل
الشيطان • وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت
واسررت واعلنت ونحوه من ادعيته عليه السلم ۝ وذكر الانبيا في الموقف ذنوبهم
في حديث الشفاعة • وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله ۝ وفي حديث ابي هريرة
اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة • وقوله تعالى عن نوح والا
تغفر لي وترحمني الاية وقد كان قال الله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ۝
وقال عن ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين • وقوله عن موسى
تبت اليك ۝ وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم
بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون
فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها • وقيل المراد ما وقع لك من ذنب
وما لم يقع اعلمه انه مغفور له ۝ وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك
بعدها • حكاه احمد بن نصر ۝ وقيل المراد بذلك امته • وقيل المراد ما كان عن سهو
وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري ۝ وقيل ما تقدم لابيك ادم وما
تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا وبمثله والذي قبله يتاول

قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا
هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي
ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
الاية ومآل المومنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك
غير مواخذ بذنب ان لو كان ۝ قال بعضهم المغفرة هاهنا تنزيه من العيوب • واما
قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة
وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة • وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته
منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره • حكى معناه السمرقندي • وقيل المراد بذلك
ما اثقل ظهره من اعبا الرسالة حتى بلغها ۝ حكاه الماوردي والسلمي • وقيل
حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية • حكاه مكي ۝ وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك
وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك • حكى معناه القشيري ۝ وقيل معناه
خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض كاد
ان ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم
بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه
واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية
واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه ۝ واما قوله عفا الله عنك

لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية
ولا عده الله عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك
قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان
له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله له فاذن لمن شئت منهم
فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا
حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه
للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا ○ قال الداودي روي انها
كانت تكرمة ● قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك ●
وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله ○ واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي
ان يكون له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما
خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلم
احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي **فان قيل** فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية
قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار
منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن

القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني اني لا اعذب احدا الا بعد النهي
لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية ○ وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران
وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا القول
تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مومنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنايم
لعوقبتم كما عوقب من تعدى ● وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال
لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ○ وقيل بل كان عليه السلم قد خير في ذلك ● وقد
روي عن علي قال جاء جبريل الى النبي عليه السلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى
ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفدا على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا او يقتل
منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم
مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على
ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا
مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري ○ وقوله عليه السلم في هذه القضية لو نزل
من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى مثل هذا من تصويب رايه وراي من اخذ
بماخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت
عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم

وقف

عذابا لحله لهم فيما سبق • وقال الداودي والخبر بهذا الآية ولو ثبت لما جاز ان
يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه
وقد نزهه الله عن ذلك • وقال القاضي بكر بن العلا اخبر الله نبيه في هذه الآية
ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفدا وقد كان قبل هذا فادوا في سرية
عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك
عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم
لكن الله تعالى اراد لعظم اهل بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته
بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب
هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب له
بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف
لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه
لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية
ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر
عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى • وقيل اراد بعبس
وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام • واما قصة
آدم وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين



وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه
فغوى اي جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم
من قبل فنسي ولم نجد له عزما • قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد اليه
من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما • وقال
ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي • وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا
يحلف بالله حانثا • وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار • وقال ابن جبير
حلف بالله لهما حتى غرهما والمومن يخدع وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم
نجد له عزما اي قصدا للمخالفة • واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر
وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها
لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ
الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف • وقال الشيخ ابو بكر بن
فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم
ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتبا والهداية كانا بعد
العصيان • وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول
نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا
من المخالفة • وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم **فان قيل** فعلى كل حال



فقد قال الله تعالى وعصى آدم وقال فتاب عليه ● وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه
واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل
ان شاء الله وأما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على
ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه ● وقيل انما نقم الله عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب ● وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال
والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا ● وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك
وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس
فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه ● وقوله اذ ابق الى الفلك المشحون قال
المفسرون تباعد ● واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا
اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن من ربه او لضعفه
عما حمله من او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ قال الواسطي
معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ● ومثل هذا
قول آدم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا
فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض ● واما قصة داود عليه السلام فلا يجب
ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله
بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه
قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه الى قوله وحسن مآب ● وقوله فيه اواب فمعنى فتناه

اي اختبرناه واواب ● قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى ● قال ابن عباس
وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه على
ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره
وقد قيل خطبها على خطبته ● وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد **وحكى**
السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه والى
نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من
المحققين ● واما قصة يوسف واخوته فليس على يوسف منها تعقب ● واما
اخوته فلم يثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن
عند ذكر الانبياء ● قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم
كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين
اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا
والله اعلم ● واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان
ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله
عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما
ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون
ان شاء الله هم يوسف ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم

او يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف
وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد
همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها • وقد قال الله تعالى عن المراة ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم ۝ وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال
وغلقت الباب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية ۝ قيل
ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها • وقيل هم بها اي غمها امتناعه
عنها وقيل هم بها نظر اليها ۝ وقيل هم بضربها وزجرها ودفعها • وقيل هذا
كله كان قبل نبوته • وقد ذكر بعضهم ما زال النساء تميل الى يوسف ميل شهوة
حتى نبأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه
واما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان
من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال
قتادة وكزه بالعصى ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من
عمل الشيطان • وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي ۝ قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه
لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر • وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما
وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه ۝ قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى
التلاوة • وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة
وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك ۝ وقيل معناه اخلصناك



اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة
معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره
وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلم بالتعدي وفعل ما لا يجب اذ هو ظاهر الامر
بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له
في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه
بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث
اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري
وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقئ عين حجته
وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف ۝ واما قصة سليمان
وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه قوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه
وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة
او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل
ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل • قال النبي
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله
قال ۝ اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض

عليه وهو عقوبته ومحنته ۝ وقيل بل مات فألقي على كرسيه ميتا • وقيل ذنبه
حرصه على ذلك وتمنيه • وقيل لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه
من التمني ۝ وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه
على خصمهم • وقيل أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الأخباريون
من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن
الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله ۝ وإن سئل
لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة إن شاء الله فعنه أجوبة أحدها ما
روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى • والثاني
أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه • وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم
يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره
المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه
على قول من قال ذلك ۝ وقيل بل أراد أن يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص
بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله بخواص منه • وقيل ليكون ذلك
دليلا وحجة على نبوته كإلانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى
الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا ۝ وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة
العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى وأهلك فطلب مقتضى
هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد الله فبين الله عليه

أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه الله أنه
مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأوخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق
هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه
النقاش لا يعلم بكفر ابنه ۝ وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية
سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه
وما روي في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله إليه أن
قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى
معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما
أباح الله تعالى ألا ترى أن هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول
برحله عنها مخافة أن يتكرر الأذى عليه وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب معصية
بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه
وقطع مضرة يتوقعها من بقية هناك ولم يأت في كل هذا أمرا نهي عنه
فيعصي به ولا نص فيما أوحى الله إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم

فصل

فإن قلت فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب
والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى • وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم

وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر من لا شيء **فاعلم** وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف
منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور
لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من
المؤاخذة بها واتوها على وجه التأويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة
خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى
كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب مأخوذ من الشيء الدني
الرذل ومنه ذنب كل شيء اي آخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم
واسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل
الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر
والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة اليه
هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين يرونها
بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة
كيف ما كانت من سهو او تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة
هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته
وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك

فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله
وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف
ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني
وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ
الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في
اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق
ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان
وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم **فاعلم**
اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم
يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون
استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت اليك اني
اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى
وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة
كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او
ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا

النصاب الرفيع المعصوم كلف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري فكذا داود بسطه
للتوابين ۝ قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن
استزادة من نبينا عليه السلام • وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران
الصغاير باجتناب الكباير ولا خلاف بعصمة الانبيا من الكباير فما جوزتم من وقوع الصغاير
عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها اذا عندكم وخوف الانبيا وتوبتهم
منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو
والتاويل ۝ وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره
من الانبيا على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على
نعمه كما قال عليه السلام وقد امن من المواخذة بما تقدم وما تاخر افلا اكون عبدا شكورا
وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي • قال الحارث بن اسد خوف الملائكة
والانبياء خوف اعظام وتعبد لله فانهم امنون ۝ وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم
ويستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا
فان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة
الله • قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين • فاحداث الرسل والانبيا
الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعا لمحبة الله والاستغفار
فيه معنى التوبة • وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية ۝ وقال فسبح بحمد ربك

واستغفره انه كان توابا

فصل

قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه
ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي
العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء
مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن
الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك
عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عنه قبل
عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط
والنسيان فيما شرعه للامة • وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح
فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فايدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي عليه السلام او يجوز او يستحيل عليه
ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا
يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار
اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط
عليه السلام على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال
لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت
ان يقذف في قلوبكما شيا فتهلكا ۝ هذه اكرمك الله احدى فوايد ما تكلمنا عليه
في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيا منها يرى ان الكلام فيها جملة

من اصول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين الفائدة التي ذكرناها
وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتبنى عليها مسائل لا تتعدد من الفقه
ويتخلص بها من تشعب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم
وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي
في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله
عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في
كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي
صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع
عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل
ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا
ويضيع حرمة للنبي عليه السلام وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول
وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل

في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة
مؤمنون فضلاء وان ائمة المسلمين اتفقوا ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في
العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا الا له

مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا
يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله ان الذين عند ربك لا
يستكبرون عن عبادته الاية وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون
ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين
واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله
بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه
نصابهم الرفيع عن كل ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت
بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول
ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى
فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هنا فمما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة
المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما **فاعلم**
اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون
في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من
كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان
وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف

غطا هذه الاشكالات ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت
هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين
وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين
ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن
تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار
اي يقولون لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا
تتخيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا
به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران
انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن
ذلك فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على
جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه
بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن
الكبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد
ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر
سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود
وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما
ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس

السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا
على هذا وكذلك قراه عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود
وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما
الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الاية على تقدير ابي محمد
مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله
بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس
وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه
من الملائكة فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك
وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر
ابن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء
من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم
الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا
وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكره الله
الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني

فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرا عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا

انه عليه السلم وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه
من الافات والتغييرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا
كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه
وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق
جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض النبي عليه السلم واشتكى واصابه الحر والقر
وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعيا والتعب ومسه الضعف
والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى
واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى
وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره
من الانبيا ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمياشير ومنهم
من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا عليه السلم من
الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمية يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته
اهل الطايف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه
ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك
من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم
وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما



يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم وليكون في محنهم تسلية
لاممهم ووفور الاجور عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض
المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكوره انما تختص باجسامهم البشريه
المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني ادم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم
فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملا الاعلى والملايكه لاخذها
عنهم وتلقيها الوحي عنهم قال وقد قال عليه السلم ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال
لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره
وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شي باطنه
بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه
وهو عليه السلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جا في بعض الاثار
انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا
جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلم
قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض
وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على جوارحه ولسانه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه ان شا الله تعالى

فصل فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلم سحر كما حدثنا
الشيخ ابو محمد العتابي بقراتي عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف نا محمد بن احمد
نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد بن اسمعيل نا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه
عن عايشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشي
وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه ياتي النساء ولا ياتيهن الحديث
واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي عليه السلم في ذلك
وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث
صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتدرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على
امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي فيما يدخل في امره
لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشي ولا يفعله
فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شي من تبليغه او شريعته او يقدح في
صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه
عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات
كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان
وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي
اهله ولا ياتيهن وقد قال سفين هذا اشد ما يكون من السحر ولم يات

في خبر منها انه يفعل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت
خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يخيل الشي انه فعله وما فعله
لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا
ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم
وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل
اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق
قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني
زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بير حتى كاد عليه السلم ان ينكر بصره
ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البير وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن
يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة سنة فبيناه نايم اتاه ملكان
فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة خاصة سنة حتى انكر بصره فقد
استبان لك ان مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه
لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطي نسايه وتكون
معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم
طاعته عادته القدرة على النسا فاذا دنى منهن اخذته اخذة السحر فلم يقدر
على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفين بقوله



وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عايشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه
انه فعل الشي وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى
شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه
بصره وضعف نظره لا لشي طرا عليه في ميزه واذا كان كذلك لم يكن فيما ذكر
من اصابة السحر له وتاثيره هذه حاله في جسمه فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد
المعترض انسا

فصل

هذه حاله في جسمه فاما احواله في امور
الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل • اما العقد
منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشي على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك
او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفين بن العاص وغير واحد سماعا
وقراة قالوا نا ابو العباس احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد بن عمرويه
نا ابن سفين نا مسلم نا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا نا النضر
ابن محمد حدثني عكرمة نا ابو النجاشي نا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينه وهم يابرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال
لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر
اذا امرتكم بشي فخذوا به واذا امرتكم بشي من راي انما انا بشر ○ وفي رواية
انتم اعلم بامر دنياكم • وفي حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن
وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال عليه السلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله
فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطي واصيب فهذا على ما قررناه
في ما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلم لما نزل بادنى مياه
بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو
الراي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل
انهض حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا
يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم في
الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينه فاستشار الانصار فلما
اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها
لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا
كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية
ملان الجوانح بعلوم الشريعه مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق
في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر
بالنقل عنه عليه السلم من المعرفة بامور الدنيا ودقايق مصالحها وسياسة فرق
اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب •

فصل وأما ما يعتقد في أمور أحكام البشر الجارية على يديه وقضاياه
ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلم إنما أنا
بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما
أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار
حدثنا الفقيه أبو الوليد ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو عمر ثنا أبو محمد ثنا أبو بكر
ثنا أبو داود ثنا محمد بن كثير أنا سفين عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب
بنت أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث • وفي رواية الزهري
عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له ويجري
أحكامه عليه السلم على الظاهر وموجبات غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف
ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه تعالى
لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه
وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله أمته باتباعه
والاقتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه
ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية
من قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو
إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه
الأمة فأجرى الله أحكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر

ليتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم
ويقين من سنته إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل
المتأول وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه الأحكام وأكثر
فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام أمته ويستوثق بما
يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما يشاء
ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته

فصل وأما أقواله الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله
فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو
صحة أو مرض أو رضى أو غضب وأنه معصوم منه عليه السلم هذا ما في طريقه
الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف
باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته
عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط
أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم
كقوله لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينيه
بياض وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينيه بياض وقد قال
عليه السلم إني لأمزح ولا أقول إلا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فأما ما بابه غير

الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز
عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه • وقد قال عليه السلم
ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة قلب فان قلت
فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه
الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي عليه السلم عن هذا الظاهر
وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه
ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك
واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه
ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها ۞ وروى نحوه عمرو بن فايد عن الزهري
قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك
الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر
الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه
لها فدل انه الذي اخفاه مما كان اعلمه به تعالى • وقوله تعالى في القصة ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر
قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه عليه السلم فيما احل مثال فعله لمن قبله من
الرسل قال الله سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم

ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند
ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه
لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا
يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء عليه وعليهم السلام ۞ قال القشيري وهذا
اقدام عظيم من قايله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف
يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء
يحتجبن منه وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي
صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان
محمد ابا احد من رجالكم • وقال لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم
ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي
عليه السلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي عن طلاقها اذ
لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس
يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى
لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم • وقد قيل كان امره لزيد بامساكها
قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة
واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة
الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات

التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي
وهو قول ابن عطاء واستحسنه القاضي القشيري وان خشيته عليه السلم من الناس كانت
ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه
عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما
احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك
الاية كذلك قوله له هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روى عن الحسن وعائشة
لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه

فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلم في اقواله في
جميع افعاله واحواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا
صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته
عليه السلم الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي قال نا القاضي ابو الوليد قال
نا ابو ذر قال نا محمد وابو القسم وابو اسحق قالوا نا محمد بن يوسف قال نا محمد بن
اسمعيل قال نا علي بن عبد الله نا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال
بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني
اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني

فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي عليه السلم يهجر وفي رواية هجر
ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به
الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية
واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا
ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه
وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي
ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في
معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا
لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى
واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار
على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة
في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وهكذا ضبطه
الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وهكذا رويناه عن مسلم في
حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام
والتقدير اهجر او ان تحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة
لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول
المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا

القايل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما
حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا. واما
على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس
من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده عليه السلم ومخاطبة لهم من
بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا
من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق. وقد اختلف العلما في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلم ان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر
النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر من
قراين قوله عليه السلم لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة
ولما راوه من صواب راي عمر ثم هولا قالوا وتكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي
صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة
من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع. وقيل خشي عمر
ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة
في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب
والمخطي ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله قال اليوم اكملت
لكم دينكم وقوله عليه السلم اوصيكم بكتاب الله وعترتي. وقول عمر حسبنا كتاب الله

رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قيل ان عمر خشي تطرق
المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك
الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه
وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا
تركه وقالت طايفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في
هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب
رغبتهم وكره ذلك غيره للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول
العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه
وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فان
الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله
وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني
بقراتي عليه ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا
ابرهيم بن سفين ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن
سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت
عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مومن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له

كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ۝ وفي رواية فايما احد دعوت
عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل • وفي رواية فايما رجل من المسلمين
سببته او لعنته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة ۝ وكيف يصح ان يلعن النبي
صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا
يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله

فاعلم شرح الله صدرك ان قوله او ليس لها باهل اي عندك يا رب في
باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها يحكم
النبي عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال الظاهر ثم
دعا له عليه السلام لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله
بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة
فهو معنى قوله ليس لها باهل لا يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن
لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر
ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على
معاقبته بلعنته او سبه وانه كان مما يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير
بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته
الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعايه هنا ومن دعواته
على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل ما جرت به عادة العرب

وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى
وغيرها من دعواته • وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا
وقال انس لم يكن سبابا فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام
من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له
زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا
يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي عليه السلام وتقبل دعائه ما يحمله على
اليأس والقنوط ۝ وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق
وبوجه صحيح ان يجعل ذلك كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان يكون عقوبته
له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من ذلك
شيئا فعوقب فهو كفارة له **فان قلت** فما معنى حديث الزبير وقول النبي
عليه السلام له حين خاصمه مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ
الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث

فالجواب • ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه
القصة امر يريب ولكنه عليه السلام ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه
على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى
النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث

باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه يومئذ للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث
اصلا في قضيته وفيه الاقتدا به عليه السلام في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه
وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سوا
لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى
لا لنفسه كما جا في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن
لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشه قال له وضربتني بالقضيب
فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك
يا عكاشه ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع
الاعرابي حين طلب عليه السلام الانتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى
والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلث
مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه
عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حين عفا عنه واما حديث سواد بن
عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني
بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه
انما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما

كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قررناه

فصل

واما افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قررناه
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا
فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات
والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم
رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته
وما كان فيما بينه وبين الناس في ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام
حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل
هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في
افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في
تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب
دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك
يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان
كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل
هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد
وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة
لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحا به

ما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش
وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين
واهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على
قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر
الى اقربها للعدو من قريش وقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت
الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول
ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته
ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو
منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث
اولهم ويتعجب مما يتعجبون ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله
لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان
تكون له خائنة الاعين **فان قلت** فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن
العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر
الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول
في ظهره ما قال **فالجواب** ان فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا
لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب
بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة

وقد كان يتبسط لهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد
اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس العشيرة
هو غير غيبة بل تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه
كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة
لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح
الرواة والمزكين في الشهود **فان قيل** فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة
من قوله لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها
عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام
يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي
عليه السلام قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من
عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم
الغش والخديعة **فاعلم** اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما
يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم
هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها
فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله
عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام



بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي عليه السلام لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكأنه قال
اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي
صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا ○ الوجه الثالث
ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو
لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو عليه السلام مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه
فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه
باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم
اكرمك الله ان الآية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا
ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الآية فاذا كان كذلك
فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك
فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير
له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك ○ واما قوله ايتها العير انكم لسارقون
فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهه ولعل قائله ان حسن له
التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك ○ وقد قيل قال ذلك لفعلهم
قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبياء ما لم يأتوا انهم
قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم

فصل

فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام
وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب
ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم
خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال
الله كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر
كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ● ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين ● ولنعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب
المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى
والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد البصائر لهم
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم
في الصبر ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين
وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل ○ حدثنا القاضي ابو علي الحافظ
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي
نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى الترمذي نا قتيبة نا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة
عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال
الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى
يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة ● وكما قال تعالى وكأين من نبي قتل معه
ربيون كثير الآيات الثلاث عن ابي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في

نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام
اذا اراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبد الشر امسك
عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة • وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه • وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي
يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة
يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء • وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان
بسبب التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له • وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه
يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه و
بكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب
بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك
كان بعد ذلك يأمر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتعش عند آل
يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها • وروي عن الليث ان سبب
بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا عليه
الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه • ومحنة سليمان لما ذكرنا
من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه
فائدة المرض والوجع بالنبي عليه السلام • قالت عائشة ما رايت الوجع على احد
اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم

في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك
رجلان منكم • قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك • وفي حديث
ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق ان
اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء
يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان
كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخا وعن انس عنه عليه السلام ان عظم
الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط
فله السخط • وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم
يجزى بمصائب الدنيا فيكون له كفارة • وروي هذا عن عائشة وابي ومجاهد •
وقال ابو هريرة عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه • وقال في رواية
عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها • وقال
في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا
غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه • وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم
يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر • وحكمة اخرى اودعها الله في
الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم
فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض
وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف

احوال المؤمن في الشدة واللين والصعوبة والسهولة ● وقد قال عليه السلام مثل المؤمن
مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا او هكذا ● وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها
الريح كفأتها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ● ومثل الكافر كمثل الارزة
صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن من زال مصاب بالبلاء والامراض راض
بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة
الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله
عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو
رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا
كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على
المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب
حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه
بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه
وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الآخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ● وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الآية فيفجأ جميعهم بالموت
على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاءة



ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف يريد موت الفجاءة ● وحكمة
ذلك والله ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد
من اصابته وعلم تعاهدها له للقاربة ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون
قلبه معلقا بالمعاد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن
يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من
نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى
بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل
امته بعده اما في النص عن الخلافة او الله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه افضل
وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا
الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون ● قال الله تعالى
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى
اهلهم يرجعون ● ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاة سبحان الله كانه على
غضب المحروم من حرم وصيته ● وقال عليه السلام موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة
اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر
لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها ● كما قال
عليه السلام مستريح ومستراح منه وياتي الكافر والفاجر منيته بغتة فتبهتهم فلا

يستطيعون ردها ولا هم ينظرون • فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا
اقطع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع
الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم
واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه واجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين
وسابه • قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا • وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم • وقال
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان
عند الله عظيما • وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا واسمعوا الاية • وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي
ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه
بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه
والاستهزاء به • وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا
سمعت • وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي عليه السلام وتعظيمه لانها

في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته
لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني
بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي لرجل نادى يا ابا القسم فقال لم اعنك انما
دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه
ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا
التفت قالوا انما اردنا هذا السوى تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين
فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه
بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها
وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه
قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته
ابا القسم بعضهم في بعض الاحوال • وقد روى انس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة
التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم
وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه
ابو جعفر الطبري والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على
ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القسم • وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم

حمايته لنفسه وحمايته من اذاه
اذاه النبي عليه السلم واسماعه

اذ في ذلك لعلي وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد فصلت
الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الاول

في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص

اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق
به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على
طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب
له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا
الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او
دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في
جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء
مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة
لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم
الى هلم جرا • قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي عليه السلام
يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه
قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ولا تقبل توبته عند هاولا وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة

والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك
وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه عليه السلام او برئ منه
او كذبه • وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف
في استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى
ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير
واحد الاجماع على قتله وتكفيره • واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد
الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه • قال
محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد
جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه
كفر • واحتج ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد
مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم • وقال ابو سليمان
الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما •
وقال ابن القسم في كتاب ابن سحنون عن مالك وفي المبسوط والعتبية وحكاه
مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل
ولم يستتب • قال ابن القسم في العتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه
يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره عليه السلام
وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل

أو صلب حيا ولم يستتب والإمام مخير في صلبه حيا أو قتله ○ ومن رواية أبي
المصعب وابن أبي أويس سمعنا مالكا يقول من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو شتمه
أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب • وفي كتاب محمد أخبرنا
أصحاب مالك أنه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم
أو كافر قتل ولم يستتب ○ وقال أصبغ يقتل على كل حال أسر ذلك أو أظهره ولا
يستتاب لأن توبته لا تعرف ○ قال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه
وسلم من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك
وروى ابن وهب عن مالك من قال إن رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى
الله عليه وسلم وسخ أراد به عيبه قتل ○ وقال بعض علمائنا أجمع العلماء على أن من دعا
على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه فإنه يقتل بلا استتابة • وأفتى أبو الحسن
القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم أبي طالب بالقتل ○ وأفتى محمد بن
أبي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه
واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته
قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الإيمان • وقال
أحمد بن سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل
وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر
كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول ثم قال إنما أردت

برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمان الذي سأله أشهد عليه وأنا شريكك في
قتله وثواب ذلك ○ قال حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا
يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب
إباحة دمه • وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل أد واشك إلى النبي صلى
الله عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل ○ وأفتى
فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من
استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم
وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه
لهذا • وأفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون الفزاري وكان شاعرا متفننا
في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت
عليه أمور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا عليه السلام
فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين
وصلب منكسا ثم أنزل وأحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت
خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر
الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر حديثا عنه عليه السلام أنه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم ○ وقال القاضي
أبو عبد الله بن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب

والانبيا لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره و [يقين]
من عصمته ○ وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال
فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة • وقال ابن عتاب الكتاب
والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او
مصرحا وان قل فقتله واجب ○ فهذا الباب كله مما عده الناس سبا وتنقصا
يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في
حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او
عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او
هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه
فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك
وياتي ما يدل عليه

فصل

في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام

فمن القران لعنه الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والاخرة • وقرانه تعالى اذاه باذاه
ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية وقال
في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل ○ قال الله تعالى ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا • وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم

خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن • قال الله تعالى قتل الخراصون ○
وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين ما
دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو
القتل ○ وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى
قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل • وقال تعالى
واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس
المصير • وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل
ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم • وقال تعالى ولئن سالتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم ○ قال اهل التفسير
كفرتم بقولكم في رسول الله • واما الاجماع فقد ذكرناه • واما الاثار
فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي
اجازة قال نا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه نا محمد بن نوح
نا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي
ابن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي
عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن
سب اصحابي فاضربوه ○ وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله

ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل
ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء كان
يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ● وكذلك امره يوم الفتح بقتل
ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام ● وفي حديث
اخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا
فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله ● وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان
يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط وعهد
بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل
القدرة عليه ● وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى
يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك على رسول الله ● وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه
رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروى ايضا
ان امراة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد
فقتلها ● وروى ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير
ليقتلاه ● وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر ان امراة هناك في الردة غنت بسب النبي

صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما
فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس
هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها
انا يا رسول الله فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان
وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها
فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه
فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها ● وفي حديث ابي برزة
الاسلمي كنت جالسا يوما عند ابي بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين وحكى
القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه
النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله
دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
● قال القاضي ابو محمد ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث
على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه
ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل
رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من
الناس الا رجلا سب رسول الله فمن سبه فقد حل دمه ● وسال الرشيد مالكا
في رجل سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده

فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل
ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد **قال** القاضي ابو الفضل كذا وقع في
هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم
ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر • وقد ذكرنا مذاهب
العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم او ممن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه
او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون
رجع وتاب عن سبه فلم يقتله مالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه
ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه فقد ظهرت علامة
مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية
الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري والكوفيين • والقول الاخر انه دليل على
الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا
مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء
والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا
كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر
من الحمير • وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك ياكلك
ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ۝ وقد قيل قائل مثل هذا ان كان

مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه • وقد قال عليه السلام ۝
من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي في الحرمة مزية على امته وساب الحر من
امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته
على غيره **فصل** فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي
الذي قال له السام عليكم وهذا دعا عليه ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما
اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر
من ذلك فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان **فاعلم**
وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف عليه
الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول
لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا
وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله
عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم
ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطا
والاحسان وبذلك امره الله فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم
فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ۝ وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم • وذلك لحاجة الناس للتالف
اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من



قدر عليه واشتهار أمره بفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح وممن أمكنه
قتله غيلة من يهود وغيرهم أو غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة
مظهري الإيمان به ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة وكذلك
ندر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا
بأيديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر
وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون
عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع
هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم
وجفوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا وأخلص
سرا كما أظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء وأعوان وحماة
وأنصار كما جاءت به الأخبار وبهذا أجاب بعض أئمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال
وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من أقوالهم ما رفع وإنما نقله الواحد ومن لم يصل
رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي وعبد أو امرأة والدماء لا تستباح إلا بعدلين
وعلى هذا يحمل أمر اليهود في السلام وأنهم لووا به ألسنتهم ولم يبينوه ألا ترى
كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه عليه السلام أصحابه
على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين
فقال إن اليهود إذا سلم أحدهم فإنما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال

بعض أصحابنا البغداديين أنه عليه السلام لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت أنه قامت
بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وأيضا فإن الأمر كان سرا وباطنا وظاهرهم الإسلام
والإيمان وإن كان من أهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالإسلام
لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق
من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار الدين بحكم ظاهرهم
فلو قتلهم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول
ولارتاب الشارد وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
والدخول في الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم أن القتل إنما
كان للعداوة وطلب أخذ الترة وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا إلى مالك بن أنس
ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال أولئك الذين
نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا
والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو أظهر
المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي أبو الحسين بن القصار
وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض
والمرجفون إلى قوله تبديلا الآية قال معناه إذا أظهروا النفاق وحكى محمد
ابن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين
نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها

وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما
راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا
وراى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال
في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعا الا بما لا بد منه من
الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام
والسامة الملال وهذا دعا على سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري
على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال
علماونا وليس هذا تعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى • قال القاضي ابو الفضل
قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه سوا • وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن
هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي
من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في
ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يومنون
ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتل الخوارج للتالف
ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه
السلم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل
من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شا
منهم الجلاء واخرجهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المومنين وكا شتمهم بالسب



فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من
جوارهم فقد جا في الحديث الصحيح عن عايشة انه عليه السلم ما انتقم لنفسه في شي يوتى
اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله **فاعلم** ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم
ممن سبه او اذاه فان هذه من حرمات الله انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما
تعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله
به اذاه مما جبلت عليه الاعراب من الجفا والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة
كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد
الاعرابي شراه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه
عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به هذا مما يحسن
الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر وجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن
اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد
قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجا
استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق ۞
فصل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازرا به وغمصه باي
وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه • الوجه الثاني
لاحق به في البيان والجلا وهو ان يكون القايل لما قال في جهته عليه السلم
غير قاصد للسب والازرا ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلم بكلمة

الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه
عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في ابلاغ الرسالة او في
حكم بين الناس او نقص من مرتبته او شرف او وفور علمه او زهده او تكذيب بما اشتهر
من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او يأتي بسفه من
القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في حقه وان ظهر بدليل حاله انه قال
اعتمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه
او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه
حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى
زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه • وقال محمد بن سحنون في
المأسور يسب النبي عليه السلام في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه
وعن محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا • وافتى ابو الحسن
القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن انه يعتقد
هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل
وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله
بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه

الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي
عليه السلام وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف
لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا
عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل

الوجه الثالث
ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به
انتقل بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر
فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى
القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي عليه السلام ان كان ذكره بنقيصة
فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله
التوبة عندنا كما سنبينه • قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب
به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع • وقال ابن القسم في المسلم اذا قال ان محمدا
ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل • قال ومن كفر
برسول الله وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه
يوحى اليه وقاله سحنون • قال ابن القسم دعا الى ذلك سرا او جهرا • قال
اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله • وقال اشهب في يهودي
تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا
بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي

يعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت او لم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل

الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا مترددّ النظر وحيرة العبر ومظنة اجتهاد اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حماه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرا الحد بالشبهة لاحتمال القول واختلف ايمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم

ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الآخر له بذلك عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبيا والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات لا بد من اعمال النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبيا وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان

هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على
نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئله المتقدمه ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول
ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل
بعض هذا العدد منقطع الى آدم عليه السلم فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل
قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه من الانبيا على علم
لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال
اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذريته النبي صلى الله عليه وسلم قولا
قبيحا في آبائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذريته النبي عليه السلم
ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض آبائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم
ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء
ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبيا يتهمون فكيف انت فكان شيخنا
ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور
يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار
وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو
محمد واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة
بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه • وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن

عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله
وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس
فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما
يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه

فصل

الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا ولكنه ينزع بذكر بعض اوصافه
او يستشهد ببعض احواله عليه السلم الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل
والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته
ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او
سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلم او قصد الهزل والتندير بقوله
كقول القائل ان قيل في السو فقد قيل في النبي وان كذبت فقد كذب
الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم
انبيا الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله
من عداه وحلم على اكثر مما صبرت • وكقول المتنبي •
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود • ونحوه من اشعار المتعجرفين
المتساهلين في الكلام كقول المعري • كنت موسى وافته بنت شعيب
غير ان ليس فيكما من فقير • على ان اخر البيت شديد وداخل في باب
الازراء والتحقير بالنبي عليه السلم وتفضيل حال غيره عليه • وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل

هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل تشبيه غير النبي في فضله بالنبي والعجز
محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة المدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه نقصت
اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته وصفقت بين جناحي
جبرين وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر
الله قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في
محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون

كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد

الى امثال هذا
وانما كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل
كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء
وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني
الاندلسي وابن سليمن المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف
والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي
سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء
نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة



ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه
من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه
او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم
توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ
عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح
ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه
ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله

فان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره
من ليلته وذكر القتبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد
الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان

وقد انكروا ايضا عليه قوله

كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره

لان حق الرسول
عليه السلام وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف
فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا
امام مذهبنا ملك بن انس واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في

رجل عيّر رجلا بالفقر فقال تعيّرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مالك قد عرّض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدب قال
ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال
عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان
أبو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا يكتب لي أبدا • وقد كره سحنون
أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما أمرنا الله ○ وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه
وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا
ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه
من وجهه أو عاف النظر إليه لدمامة وجهه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى
مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب
واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال ○ وأما ذاكر
مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر إلا أن يكون
المعبّس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله
ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب
غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان أثنى
على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة

وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل ○ وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال له الشاب أليس كان
النبي أميا فشنع عليه مقاله وكفّره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم
عليه فقال أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي أميا آية له وكون هذا أميا نقيصة
فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي عليه السلام لكنه إذا استغفر
وتاب واعترف ولجأ إلى الله فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه
الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ○ ونزلت أيضا مسألة
استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور في رجل
تنقّصه آخر بشيء فقال له إنما تريد تنقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر
يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه
إذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله

فصل

الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه
فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على أربعة وجوه • الوجوب ○ والندب • والكراهة ○ والتحريم •
فإن كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإنكار والإعلام
بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك

إن حكاه في كتاب أو في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه
وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فإن كان
القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو يقطع بحكمه أو شهادته
أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه الإشاعة بما سمع منه والتنفير للناس عنه
والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان
كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك
إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته لا يؤمن على
إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق النبي عليه السلام ولحق شريعته
وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب
وحماية عرضه متعين ونصرته عن الأذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه
إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي
الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد التحذير منه وقد أجمع
السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل أبو محمد بن
أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي شهادته
قال إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد • وكذلك إن علم أن الحاكم لا يرى القتل
بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد ويلزمه ذلك • وأما الإباحة
لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض

النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض
شرعي بمباح • وأما الأغراض المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب وقد
حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم
والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه
وكذلك وقع في أمثاله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه
المتقدمة وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة
والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان
ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع أحمد مثله في
رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما
ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات
والأسمار والطرف وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه
أشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد
أو معرفة بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو
ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العود إليه
وإن قوم ببعض الأدب كان مستوجب له وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان
الأدب أشد • وقد حكي أن رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال

ما للكافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك
وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان
اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او
ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه
ورواية اشعار هجوه عليه السلم وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ
بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية ۝ وقد قال
ابو عبيد القسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو
كفر ۝ وقد ذكر بعض من ألف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به
النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا
المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا
سبيله وتركوا روايته الا اشيا ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه
الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القسم
ابن سلام قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه
فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبرا لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد
بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم ۝

فصل

الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
ويختلف في جوازه عليه وما يطرا من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه او يذكر

ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة
ابتدا حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك
على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبيا وما يجوز
عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازرا
ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام
فيه مع اهل العلم وفهما طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب
ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة
يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن
فقد قال عليه السلم مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتدا حاله وقال
ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلم وهذا لا غضاضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه خلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت
عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبيا حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى
كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة
في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله عنه يتمه وعيلته على طريق المنة
والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتداه
والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته
وصحة دعوته اذ اظهره الله بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم

شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كسرى
الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتأييده بنصره بالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال
ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفين عنه
هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه
واذ اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة
وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا
لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة
فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول
ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها
فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في غيره
نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل
شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج
حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه

منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى ما روي من اخباره وسيره وتقلله
من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره
وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين خطيرها وحقيرها لسرعة
فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرنا
فمن اورد شيئا منها مورده وقصد به مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك
على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك
ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في
ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تأويل وتردد احتمال
فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله
مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة
المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان
يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم
كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم
عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته
وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية
فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحققوا اشاراتها الى غرض

الاعجاز ووجوهها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من
كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب أن لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى
ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها
وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المعاد واهية
الإسناد وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على
أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها ومنقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق
بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود
بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس
وأشفى للنفس

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما
لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم
أن يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه
ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر
ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة
الفداء للنبي عليه السلام لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب العصمة
وتكلم على مجاري أحكامه وأقواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه
واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية
فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع
سهوا وغلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة وإذا تكلم
على العلم قال هل يجوز أن لا يعلم إلا ما علم وهل يمكن أن لا يكون عنده علم من بعض الأشياء
حتى يوحى إليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته وإذا تكلم في الأفعال قال هل يجوز
منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة الصغائر فهو أولى وآدب من قوله
هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره
عليه السلام وما يجب له من تعزير وإعظام وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا
فقبح منه ولم أستصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجاهلين يقوله لأجل ترك
تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله وإذا كان
مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في
حقه عليه السلام أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها
وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه ولهذا قال عليه السلام إن من البيان لسحرا فأما
ما أورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه
كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم
على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا
فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد
ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي
من القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان

خصص بها صوته اعظاما لرتبته واجلالا له واشفاقا من الحبطة لمن جهر به ٥

الباب الثاني

في حكم سابه وشانيه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر
استتابته ووراثته • قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه السلام وذكرنا
اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقايله او تخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرنا
وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور
العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمنا قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول
وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل
نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ ابو الحسن
القابسي اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال
ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب من ذلك لم تزل توبته عنه القتل
وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك
قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما
اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني
استدل على صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال

القاضي ابو الفضل وهذا قول اصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه
وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى
الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين
والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد
لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف
وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب ۞ قال محمد بن سحنون
ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من دين
الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه
لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر ۞ وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط
اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول
باستتابته ان النبي بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته
والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه
وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد
معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب
النبي تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته
لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط
ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي لكفره لكن لمعنى يرجع الى

تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي
ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء
والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر وكلام شيوخنا
هنا ولا مبنى على القول بقتله حدا او كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على
رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من
اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى
قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما
قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل
فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره
الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي وتحقيره
ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه
وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر الكفر ويشهد عليه بكلمة
الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم
الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره
ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك
نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت
له خصائصه كقتل تارك الصلاة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله

فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره
ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله
بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله تعالى المطلع على صحة
اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه
وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه
يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل
مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها
على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله **فصل** واذا قلنا
بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا
فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل
العلم الى ان المرتد يستتاب • وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على
تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي
وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه
والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي وذهب طاوس وعبيد
ابن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز
ابن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي
يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرا

القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكى ايضا عن عطا ان كان
ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلما على ان
المرتد والمرتدة في ذلك سوا وروى عن علي لا يقتل المرتدة وتسترق وقاله
عطا وقتادة وروى عن ابن عباس لا يقتل النسا في الردة وبه قال ابو حنيفة
قال ملك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سوا • واما مدتها فمذهب
الجمهور وروى عن عمر انه تستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر
وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه ملك وقال لا ياتي
الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس ⊙ قال الشيخ ابو محمد بن ابي
زيد في الاستينا ثلثا • وقال ملك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلثة
ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل • وقال ابو الحسن بن القصار
في تاخيره ثلثا روايتان عن ملك هل ذلك واجبا و مستحب ⊙ واستحسن الاستتابة
والاستينا ثلثا اصحاب الراي وروى عن ابي بكر الصديق انه استتاب
امراة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه
المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلث مرات فان ابا قتل وروى
عن علي يستتاب شهرين ⊙ وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما
رجيت توبته • وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلث مرات
في ثلثة ايام او ثلث جمع كل يوم او جمعة مرة ⊙ وفي كتاب محمد عن ابن القسم يدعى

الى الاسلام ثلث مرات فان ابا ضربت عنقه واختلف على هذا اهل يهدد او
يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال ملك ما علمت في الاستتابة تجويعا
ولا تعطيشا ويوتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة
بالقتل ويعرض عليه الاسلام • وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك
الايام ويوعظ بالجنة ويخوف بالنار ⊙ قال اصبغ واي المواضع حبس فيها
من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سوا وتوقف ماله اذا خيف
ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع
وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او
خمسا • قال ابن وهب عن ملك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي
واحمد وقاله ابن القسم ⊙ وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي
ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة ⊙ قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على
المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب ملك والشافعي والكوفي

فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول
لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس
او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا ⊙ وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته
فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة

الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين
والنبز بالسفه والمجون فمن قوي أمره أذاقه من شديد النكال من التضييق في
السجن والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته
ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى
أوجبه وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه أمره وحالات الشدة في نكاله تختلف
بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة فإن تاب
نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد
عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر
توبته وقال القاضي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره القتل فعاق عائق
أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ولا يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة
ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن أشكل أمره
يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في
مسئلة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح وفي الأدب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين
فأثبت من عداوتهما أو جرحهما ما أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره
أخف لسقوط الحكم عنه وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك

ويكون الشاهدان من أهل التبريز فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ
الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد
والله ولي الإرشاد **فصل** هذا حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه
أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا
في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا وهو قول عامة العلماء
إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل لأن ما
هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا
على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا
الآية ويستدل أيضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف
وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن
نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم
وصاروا كفارا يقتلون لكفرهم وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام
عنهم من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالا
عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لأصحابنا
ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام
ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى أبو المصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين
واختلفوا إذا سبه ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما

قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطن الكافر في بغضه له وتنقصه
بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهر الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا
رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله ٭ قال الله تعالى قل للذين
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم
ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى
باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها
شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه
الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه
من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى
قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبيا من اهل الذمة او احدا من الانبيا عليهم السلم
قتل الا ان يسلم وقاله ابن القسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال
سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة ٭
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره
من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب ٭ وروى لنا عن مالك الا ان يسلم
الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم



فقال ابن عمر فهلا قتلتموه ٭ وروى عيسى عن ابن القسم في ذمي قال ان محمدا
لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شي عليهم
لان الله اقرهم على مثله ٭ واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل
عليه قران وانما هو شي تقوله او نحو هذا فيقتل ٭ قال ابن القسم واذا
قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح
او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله
ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل ٭ قال واما ان شتم النبي شتما
يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب ٭
قال ابن القسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طائعا ٭ وقال ابن سحنون في
سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت
يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل ٭ وفي النوادر من رواية سحنون
عنه من شتم الانبيا من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضرب
عنقه الا ان يسلم ٭ قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي
عليه السلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك
ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه
استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا ٭ قال سحنون كما لو بذل لنا
اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل ٭

كذلك بنقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة **قال** القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به
كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما حكى ابو المصعب
الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي
فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على
مزبلة فاكلته الكلاب • وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا
فقال يقتل • وقال ابن القسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه
قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل
ساقيه لو قتلوه استراح الناس منه قال مالك ارى ان يضرب عنقه قال
ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت • قال ابن كنانة في
المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى
للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار
حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القسم المتقدمة
قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه ثم قلت يا ابا عبد الله
واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين
يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق • وافتى عبيد الله

ابن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت
بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل
عنها به • قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القسم
ابن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب •
وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين في درء القتل عنه باسلامه
وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي
اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد كان
ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم
حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل هذا حد القذف في حق النبي عليه السلام
وهو القتل لزيادة حرمة النبي على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين
فتامله •

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه •

اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى
انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي كفر يشبه كفر الزندقة • وقال اصبغ
ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له
مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب • قال ابو الحسن
القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره

يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب
واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وساير احكامه حكم الاسلام
ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه
للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل
بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه
لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون
في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القسم في العتبية ولجماعة من اصحاب
ملك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القسم وحكمه حكم المرتد
لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا
عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه • وقال محمد بن ابي زيد وانما يختلف
في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف
انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة
او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب
برسول الله او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول
ملك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته • ربيعة والشافعي وابو ثور
وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن المسيب
والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة

يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في
الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو راي اصبغ
وخلاف قول سحنون واخلافهما على قولي ملك في ميراث الزنديق فمرة ورثه
من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله
اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته
وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله
تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقال به اشهب والمغيرة وعبد الملك
ومحمد وسحنون ◦ وذهب ابن القسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه
به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك
كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام • وسئل ابو القسم
الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام
المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل
ملتين ولكنه لانه فيهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره ٥

فصل في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وال النبي صلى الله عليه وسلم

وازواجه وصحبه رضي الله عنهم • لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين

كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن
سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من
المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله بارتداده الى دين دان به
واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب ۞ وقال في المبسوطة مطرف
وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب
حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا
ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن
المذهب وافتى محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال
انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره
واما فيما بينه وبين الله فمعذور ۞ واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون
ابن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد
عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو
قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن خالد
بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح ۞
وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان
القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس والشدة في
الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في سب الله تعالى بالاستتابة

انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى
واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته
انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهاره الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به
الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم يقبل توبته
واذا انتقل من دين الى اخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد علم انه خلع ربقة
الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على
مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا
الخلاف في فصوله

فصل واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به
ليس على طريق السب او الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد
والخطاء المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة
كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف
قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون
فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك
القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى
يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول
محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل
الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده

وعنه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا • وقال عيسى عن
ابن القسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من
اهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا
والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القسم في كتاب محمد في
اهل القدر وغيرهم قال • واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله
في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما
قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز • قال ابن القسم من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل • وابن حبيب وغيره
من اصحابنا يرى تكفيرهم امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة • وقد روي
ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات
عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري
الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى
ولعبد مؤمن خير من مشرك • وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال
من وصف شيئا من ذات الله واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك
منه لانه شبه الله بنفسه • وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه
وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب • وفي
رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته • قال القاضي ابو عبد الله

البركاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف
يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة
خلفهم • وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال
السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم
ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن
غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو قول اكثر
المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء
المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في
الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الاخر بترك تكفيرهم
علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار
والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم •
قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان رأى الامام
قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا
وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع
معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة

فصل في تحقيق القول في اكفار المتأولين

قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اهل البدع والاهواء ممن قال قولا يؤديه
مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم
اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور
من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول
اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من
المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال والى
نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في
المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على
راي من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم
ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم
من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل
وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير
وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله
جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا
ذهب ابو المعالي في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان ساله عن المسئلة فاعتذر له

بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في
الدين ⊙ وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل
فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطا في ترك الف كافر اهون من الخطا
في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلم اذا قالوها يعني الشهادة عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة
ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه
والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح
بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسميته الرافضة بالشرك
واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها
من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في
الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك
وقد ورد مثله في الزنا وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان
محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر
البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم
او قتلوه ⊙ وقال عليه السلم اذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر
هذا الكفر لا سيما تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما
ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم من الحديث نفسه يقتلون اهل الا

سلام



فقتلهم ها هنا حد لا كفر وذلك عادة بسببه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من
حكم بقتله حكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي ● فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤون القران
لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون
من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى
فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء
اجابه الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا
تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله عليه السلام ويتمارى
في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله ● وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري
في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في هذه الامة ولم يقل
منها وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة
بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم
من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من
امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة
بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه
وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ
وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية ● هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة



ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد
ابن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك ● وقال ابو الهذيل
ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره
فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر ● وقال بعض المتكلمين
ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان
لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ
غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في
اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ
اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه اثم عاص
فاسق وانما الخلاف في تكفيره ● وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول
عبيد الله عن داود الاصبهاني وقال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل
من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم ●
وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله
ومقلدة النصارى واليهود لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال
وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع
على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او
وقف في تكفيرهم او شك ● قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع

على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب
والشك فيه لا يقع الا من كافر

فصل

في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف وما يختلف فيه وما ليس بكفر

اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال
للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية والوحدانية
او عبادة احد غير الله او مع الله فهو كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اهل
الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم
او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان
وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من
الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته
ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او
صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا
قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع
المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى
مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض
المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال

بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية
او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الآباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها
فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد
النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او احد من الانبياء
الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود
والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث
اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة
وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان
بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز على الانبياء الكذب
فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع
كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب
الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من
الاخبار عما كان ويكون من امور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار
ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على
جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال
الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا
به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به

او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبيا
او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع • وكذلك
نكفر من ذهب مذهب بعض القدما في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا
من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا
فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبيا هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه
من الازرا على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب
قايله • وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا
عليه السلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة والحجاز
او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به • وكذلك
من ادعا نبوة احد مع نبينا عليه السلم او بعده كالعيسوية من اليهود القايلين
بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القايلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة
القايلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده • وكذلك كل
امام عندها ولا يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم
القايلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هولا • ومن ادعى النبوة لنفسه او
جوز اكتسابها والبلوغ بصفا القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة
وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السما
ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهولا كلهم كفار مكذبون للنبي

صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه خاتم النبيين ولا نبي بعده • واخبر عن الله
انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر
هاولا الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا • وكذلك وقع الاجماع على تكفير
كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله
على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة
المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك
الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما
اظهر من خلاف ذلك • وكذلك نقطع بتكفير كل قايل قال قولا يتوصل الى
تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع
الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم
ويطلب حقه بالتقدم فهاولا قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة
باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى
هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من
وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى
علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله واله
وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان

صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر
والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنار وفحص
الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة
على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام ◌ وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل
من استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب
الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة ◌ وكذلك نقطع بتكفير كل من
كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل
الرسول عليه السلام ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات
وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة
وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن
نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد ◌ وكذلك اجمع على تكفير من قال من
الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء
رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم
وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت
بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر
منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج او قال الحج واجب في القرآن
واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة

هي

مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي
عليه السلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره
٢ ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين ولا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة
الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة
هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول عليه السلم
والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج
والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات
المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان
حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك
او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري
ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا
فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه
قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة
اذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر ◌
وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية
والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا
معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله

ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك بكفرهما
بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي عليه السلم حجة له او في خلق السموات
والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران به • وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه انه
من القران الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا
قريب عهد بالاسلام ۞ واحتج لانكاره اما لانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه
العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقران مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر
الجنة او النار او البعث والحساب والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه
واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال
ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره
وانها لذات روحانية ومعان باطنة لقول النصارى والفلاسفة والباطنية
وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة ۞ وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في
قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار
والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من
الدين كانكار غزوة تبوك او موته او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي



رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة او ليس في انكاره جحد شريعة ولا سبيل الى
تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار
هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل
تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة
فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر
المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع
الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله عليه السلم من خالف الجماعة قيد
شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ۞ وحكوا الاجماع على تكفير من خالف
الاجماع الذي يختص بنقله العلماء • وذهب آخرون الى التوقف عن تكفير من
خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله
هذا خالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر
القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده
وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او
فعل نص الله ورسوله واجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر ويقوم دليل
على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله
لا يكون الا باحد ثلاثة امور ۞ احدها الجهل بالله تعالى • والثاني ان يفعل

قف

فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر
كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او
يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا
جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من
صفات الله الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا
مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على
الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول
سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فاما
من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم وحكي
ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت
طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد
ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله
حق واحتج هؤلا بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها
التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية لعلي اضل الله
ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها
لما وجدوا من يعلمها الا الاقل ۞ وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه
منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث

الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع فهو من مجوزات العقول
او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها
وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من
الجزع والخشية التي اذهبت لبه فلم يؤاخذ به وقيل بل هذا مجاز كلام
العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله
امثلة في كلامهم كقوله لعله يتذكر او يخشى ۞ وقوله وانا واياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن
لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة
فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى
العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده
بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التأويل من المشبهة
والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم
لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن
ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر
بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين
اختلف الناس في اكفار اهل التأويل واذا فهمته اتضح لك الموجب
لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم

عليهم بالخسران واجرا حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم
ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وساير معاملاتهم لكنهم
يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه
كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشا على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين
من قال بهذه الاقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا
ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل
على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين واهل
السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راى غير ذلك والله الموفق للصواب
قال القاضي ابو بكر واما مسايل الوعد والوعيد والروية والمخلوق وخلق
الافعال وبقا الاعراض والتولد وشبهها من الدقايق فالمنع من اكفار المتاولين
فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشي منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار
من جهل شيا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في
هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى

فصل

هذا حكم المسلم
الساب لله واما الذمي فروى عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى
غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب
وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القسم في المبسوط وكتاب محمد
وابن سحنون من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل

ولم يستتب • قال ابن القسم الا ان يسلم • قال في المبسوطة طوعا • قال
اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة
والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو
نقض للعهد • قال ابن القسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان
الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم • وقال المخزومي
في المبسوط ومحمد بن سلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان
او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال
ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي كفر به قتل الا ان يسلم
وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين
في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي واجماعهم
على ذلك وهو نحو قول الاخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي
كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان
لا يظهروا لنا شيا من كفرهم وان لا يسمعونا من ذلك فمتى فعلوا شيا منه
فهو نقض لعهدهم واختلف العلما في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف
وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك
ابن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يوخذ عليه جزية
قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره

فصل

هذا حكم من صرح بسبه واضافه ما لا يليق بجلاله والهيته ● فاما مفترى الكذب
عليه تبارك وتعالى بادعائه الالهية او الرسالة او النافى ان يكون الله خالقه
او ربه او قال ليس لى رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك فى سكره او غمرة جنونه
فلا خلاف فى كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل
توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم
النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة
لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على
سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لا نامن باطنه ولا نقبل رجوعه
وحكم السكران فى ذلك حكم الصاحى واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك
فى حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك فى حال ميزه
وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على
قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق
حتى تراض وقد حرق على بن ابى طالب من ادعى له الالهية ● وقد قتل عبد الملك بن
مروان الحارث المتنبى وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف فى ذلك فى كفرهم كافر واجمع فقهاء
بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضى قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج
وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر

بالشريعة ولم يقبلوا توبته ● وكذلك حكموا فى ابن ابى الغراقيد وكان على
مذهب الحلاج بعد ايام الراضى وقاضى قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين بن ابى
عمر المالكى ● وقال ابن عبد الحكم فى المبسوط من تنبا قتل وقال ابو حنيفة
واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لى رب فهو مرتد وقال
ابن القسم فى كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبا يستتاب اسر ذلك او
اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب فى يهودى تنبا وادعى
انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد
ابن ابى زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل
بكفره ولا يقبل عذره ● وهذا على القول الآخر من انه لا يقبل توبته وقال
ابو الحسن القابسى فى سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى
مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين

فصل

واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه
بما يقتضى الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل فى بعض الاشياء
ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا فى
حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا
منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم
عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه ● وكذلك ان كان ما اورده يوجب

الاستخفاف والتنقص لربه • وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء
قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال
بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد
الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه
عبث من القول يكفي فيه الادب • وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال
ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء
ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي
وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن
من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة
الفقيهين • وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء
وسبهم • واما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم
يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها • وقد سئل ابن القاسم عن رجل
نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على
وجه سفه فلا شيء عليه • قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل
عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله
منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله • وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء

ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا بعظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك
بما ننزه عنه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها
لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول • واما ما ورد
في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب • رب العباد ما
لنا وما لكا • قد كنت تسقينا فما بدا لكا • انزل علينا الغيث لا ابالكا
في اشباه لهذا من كلام الجهال ولم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم
في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ عليه
عن العودة الى مثله • قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول
والله منزه عن هذه الامور • وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم
احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به
كذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل
بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما
لاسم الله تعالى ان يمتهن في غير قربة • وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي
كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا
لاسمه تعالى وهؤلاء يتمندلون بالله جل وعز وينزل الكلام في هذا تنزيله في
باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق •

فصل

وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم



اوكذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلم على مساق ما قدمنا
قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله الاية • وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم
الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم • وقال تعالى كل امن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا نفرق بين احد من رسله • قال ملك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله
ابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبيا
او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب • ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا
ان يسلم • وروى سحنون عن ابن القسم من سب الانبيا من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل
قال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله وملائكته
قتل • وقال سحنون من شتم ملكا من الملئكة فعليه القتل • وفي النوادر عن ملك
فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان
تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك
لقولهم كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب • وقال ابو حنيفة واصحابه
على اصلهم من كذب باحد من الانبيا او تنقص احدا منهم او برئ فهو مرتد •
وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه ملك الغضبان لو
عرف انه قصد ذم الملك قتل • قال القاضي ابو الفضل وهذا كله

فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا علمه
بالخبر المتواتر والمشتهر والمتفق عليه بالاجماع القاطع لجبريل وميكائيل وملك الموت
وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملائكة
ومن سمي فيه من الانبيا كعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير
من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما • فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا
وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبيا كهاروت وماروت في الملائكة
والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي
اهل الرس وزرادشت الذي يدعي المجوس والمورخون نبوته فليس الحكم في
سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن
يزجر من تنقصهم واذاهم ويودب بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت
صديقيته وفضله منه وان لم تثبت نبوته • واما انكار نبوتهم او كون
الاخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلما في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد
ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا • وقد كره السلف الكلام في مثل
هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف العامة

فصل •

واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشي منه او سبهما او جحده او حرفا
منه او اية او كذب به او بشي منه او بشي مما صرح فيه من حكم او خبر او اثبت

ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند
اهل العلم باجماع ۞ قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
الاية **حدثنا** الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا
ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا ابو علي يزيد بن هارون
ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله تعالى من المسلمين فقد حل
ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها
او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر ۞ وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو
في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه
حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه • واجمع الناس على انه ليس من القرآن
عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشة بالفرية لانه
خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل لانه كذب بما فيه ۞ وقال
ابن القسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي

وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه
الا ان يتوب ۞ وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على
من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم
خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم • وقال ابو عثمان
ابن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر • وكان
ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ
كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله
وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله ۞ وقد
سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله
التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية فقال
انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل
والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء
من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة
مجردا لضاق التأويل • وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ
المقرئ احد الائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ
من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه
سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير علي بن مقلة سنة ثلث وعشرين

وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد
ابن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب

فصل

ولم ارد القران • قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل
وسب آل بيته وازواجه واصحابه وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل
قال نا ابو يعلى نا ابو علي السنجي نا ابن محبوب حدثنا الترمذي نا محمد بن يحيى نا
يعقوب بن ابرهيم نا عبيدة بن ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن
اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا • وقال عليه السلم
لا تسبوا اصحابي فانه يجي قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم
ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم
وعنه عليه السلم من سب اصحابي فاضربوه • وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم
ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي
ومن اذاهم فقد اذاني • وقال لا تؤذوني في عايشة • وقال في فاطمة

بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها • وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل
ومن شتم اصحابه ادب • وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ابا بكر او عمر او عثمان او معوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر • قتل
وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا • وقال ابن حبيب
من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا • ومن زاد
الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به
القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم • وقال سحنون من كفر احدا من
اصحاب النبي عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن
سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا في ضلال وكفر قتل
ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد • وروي عن مالك
من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف
القران وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان
ابا بكر بن الطيب قال ان الله اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح
نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثير وذكر تعالى
ما نسبه المنافقون الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان



تكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من
السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله أعلم أن
الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه وأذاه
بأذاه تعالى فكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم
رجل عائشة بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن
أبي ليلى أنا فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه في الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب
أنه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد بن الأسود فكلم في ذلك فقال
دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحد بعد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وروى
أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال لولا أن له صحبة
لكفيتكموه ● قال مالك من انتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له
في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية
ثم قال والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم الآية وهؤلاء الأنصار ثم قال
والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
الآية فمن تنقصهم فلا حق له في المسلمين ● وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد
منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا له وحدا لأمه
ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره لقوله عليه السلام من سب
أصحابي فاجلدوه قال ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له

فإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له وإلا فمن قام به من المسلمين
كان على الإمام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم
صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام بها

قال **فصل** ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها
قولان أحدهما يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والآخر
أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالأول أقول ● وروى أبو مصعب
عن مالك من انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر
ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم
وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال
لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين
بالفقه فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب
الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو أخص باسم الفسق من
اسم الفقه فيتقدم إليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي
جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله ● قال القاضي أبو الفضل هنا انتهى القول
بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه
مما أرجو أن في كل قسم منه للمريد مقنعا ● وفي كل باب منهج إلى بغيته ومنزع
وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع ● وكرعت في مشارب من



التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع ۞ واودعته غير ما فصل
وددت لو وجدت من بسط الكلام فيه ۞ او مقتدى به يقتدى به عن كابد او
فيه لا لنفي عما ارويه عما ارديه والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول
ما منيه لوجهه ۞ والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره ۞ وان يهب لنا ذلك
بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه ۞ وامن وجه واسهرنا
به جفوننا لتتبع فضايله ۞ واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصايصه ودوسايله
ويحمي اعراضنا عن نار الموقده لحمايتنا لكريم عرضه ۞ وجعلنا ممن لا يذاد اذا
ذيد المبدل عن حوضه ۞ وجعله لنا ولمن يهتم بكتابه واكتسابه سببا يصلنا
باسبابه ۞ وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها
رضاه وجزيل ثوابه ۞ ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا وجماعته ۞ ويحشرنا في
واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ۞ ونحمده على ما هدى اليه من جمعه والهم
وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم ۞ ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا
يسمع ۞ وعلم لا ينفع ۞ وعمل لا يرفع ۞ فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ۞ ولا
ينصر من خذله ۞ ولا يرد دعوة القاصدين ۞ ولا يصلح عمل المفسدين ۞

۞ وهو حسبنا ونعم الوكيل ۞

آخره والحمد لله اولا واخرا ۞ علقه فقير رحمة ربه عبد الرحمن بن الصايغ حامدا لله
على نعمه ومصليا على نبيه سيدنا محمد وآله وصحبه ومسلما ۞ سنة ٨١٣ للهجرة النبوية

